التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٨٨ - السنة الحادية والأربعون- شعبان ١٤٣٣ هـ

الثمن جنيهان

ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

ضلالات النصيرية فى العبادات والأعياد

إن السعيد لمن جُنّب الفتن



ماذا نريد من رئيس الدولة ؟

ملف العدد

▪ ربح البيع أبا يحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٨

شعبان ١٤٣٣هـ



رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

«إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ»

لَمَّا أَمَر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة؛ كان يكفيهم أن يذبحوا أي بقرة ليحققوا أَمْرَ الله جل وعلا، ولكنهم شدَّدوا على أنفسهم في السؤال عن مواصفات البقرة، فشدد الله تعالى عليهم في كل مرَّة.

وفي التشديد - بلا شك - شقاء، لا يرضَى به الأذكياء، لكنهم يُشقُون أنفسهم بأيديهم.

وقد شدَّد الناس على أنفسهم في اختيار مُرشَّح الرياسة كتشدُّد بني إسرائيل، واشترطوا في ذلك شروطًا؛ فلا يصلح الكبير المُسِنّ، وكذلك صغير السن «لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكۡرٌ» [البقرة: ٦٨].

ولا يصلحُ الأبرصُ الأشقر، ولا الذي جنسية أهله «مدغشقر».

وكذلك لا يَصْلح مَنْ ليس عنده «كاريزما»، أوْ ليس لَبِقًا مع كل موقف أو أزمة.

بل لا بد أن تكون شخصيته «فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ» [البقرة: ٦٩]. بل قالوا: كذلك لا يصلحُ إلا من يمشي في الأرض مَرَحًا فيخرق الأرض ويبلغ الجبال طولًا.

ويثير الأرض، ويسقي الحرث، ويبذُرُ الحَبّ، ويَنْشُرُ الحُب، وكان بالنزاهة موصولًا.

وبعد عَنَاء ومشقَّات، واشتراط النزاهات ودقة البيانات، اجتمعت الصفات.

وإذا بنا مع التأكيد على النزاهات؛ نَدْخل من جديد إلى عالم المتاهات.

ومَنْ شَدَّد - كبني إسرائيل - شدَّد الله عليه «مَرَّات ومَرَّات»!!

اللهم ولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا شرارنا، اللهم ارحم مصر وأهلها آمين !!

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد



الآن بالمركز العام
المجلد الجديد لعام ١٤٣٢

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
q.tawheed@yahoo.com

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

ضلالات النصيرية في العبادات والأعياد

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين... وبعد:

فقد ذكرت في المقال السابق شيئًا من معتقدات الطائفة النصيرية الباطلة، وهذا يظهر بادنى تامل؛ وتتمة لكشف عوارهم وباطلهم، أشير هنا إلى عباداتهم وأعيادهم وأفعالهم الدنيئة بالمسلمين، فأقول وبالله التوفيق:

إن طائفة النصيرية لا تعبد الله كما شرع سبحانه، بل عباداتهم باطلة كعقيدتهم الفاسدة، ومما تجدر الإشارة إليه هنا قبل أن نذكر بعض عباداتهم أنهم يعتقدون أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وأنهم وحدهم العالمون ببواطن الشريعة، ومن هنا فقد أوّلوا العبادات المفروضة إلى معانٍ غريبة خرجوا بها عن الشرع الحكيم وهدي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، فالصلاة عندهم عبارة عن خمسة أسماء هي: علي، وحسن، وحسين، ومحسن، وفاطمة، ومحسن هذا يسمى عند النصيرية بالسر الخفي، وذكر هذه الأسماء عند النصيرية يجزئ عن الغُسل من الجنابة والوضوء، وهم يصلون في اليوم خمس مرات، لكنها صلاة تختلف في عدد ركعاتها عن صلاة المسلمين. [انظر: الموسوعة الميسرة ج١/٣٩٥].

أركان الإسلام عند النصيرية:

وأول وقت للصلاة عندهم: صلاة الظهر، وتتألف من ثمانية ركعات، ثم صلاة العصر، وتتألف من أربع، ثم المغرب وتتألف من خمس، ثم العشاء وتتألف من أربع، ثم الفجر وتتألف من ركعتين، وقد ورد في كتاب «الباكورة السليمانية» أن الصلوات الخمس عند النصيرية هي كالتالي: الظهر لمحمد صلى الله عليه وسلم، والعصر لفاطمة، والمغرب للحسن، والعشاء للحسين، والصبح لمحسن الخفي، كما أنهم لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة كالوضوء ورفع الجنابة قبل أداء الصلاة، وليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون دائمًا مصحوبة بتلاوة الخرافات، كما أنهم لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام، والزكاة عندهم معناها شخصية سلمان الفارسي - رضي الله عنه -، وبالتالي فهم لا يعترفون بالزكاة الشرعية المبينة في الكتاب والسنة النبوية، ويدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خُمس ما يملكون، وهم بهذا يشتركون مع فِرَق الرافضة، والصيام عندهم هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلا وثلاثين امرأة مع الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان. وهذه العبادات المذكورة بهذا المعنى لا تمت إلى الإسلام بصلة.

إسقاط التكليف في معتقد النصيرية:

ومع هذا الضلال في العبادات، فهم يُسقطون هذه التكاليف عن مشايخهم الذين يصلون إلى درجة الاصطفاء التي يعتبرونها فوق درجة النبيين، وفوقها درجة أخرى أعلى منها وهي درجة الحجاب، فمن وصل منهم إلى هذه الدرجات كما يزعمون أصبح حرًا وسقطت عنه التكاليف، ويستدلون على هذا بقول الله تعالى: « وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ » [النجم: ٤٢]، ويقولون في معنى الآية: إن الرجل إذا عرف ربه فقد انتهى للمطلوب، ولا شيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة، وإنما وُضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين، وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات فقد عَتَق من الرق، ورُفعت عنه الأغلال والأصفاد. والمراد بالظاهر عندهم سقوط التكاليف الشرعية عن العبد من الصلاة والصيام وغير ذلك.

حكم الخمر عند النصيرية:

وإلى جانب ذلك فهم يرتكبون المحرمات، ولهم ليلة يجتمعون فيها ويختلط فيها الحابل بالنابل كشأن الفِرَق الباطنية، ويعظمون الخمر ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب ويحرمون قلعها أو قطعها؛ لأنها هي أصل الخمر التي يسمونها النور، ويقولون عندما يشتهون الخمر ما نصه: إن هذا عبدك عبد النور شخص النور حللته وكرمته وفضلته لأوليائك

العارفين بك حلالاً مطلقًا، وحرمته على أعدائك الجاحدين - يعني المسلمين - اللهم مولاي - يقصدون علي بن أبي طالب - كما أحللته لنا ارزقنا به الأمن والأمان، والصحة والإنعام ، وانف به عنا الهم والأحزان. [انظر ماذا تعرف عن الطائفة النصيرية ص١٢، ١٣].

مشابهة النصيرية للنصارى:

وللنصيرية طقوس وصلوات تشابه ما عند النصارى، ومن قداساتهم: قداس الطيب لكل أخ حبيب، وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور، وقداس الأذان وبالله المستعان.

وكل قداس له ذِكْر خاص وأدعية يتوسلون فيها ببعض أئمتهم ومشايخهم الذين جعلوهم أربابًا دون الله، ومن أمثلة هذه القداسات: قداس الأذان وهو: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، الحمد لله كثيرًا، وجهت وجهي إلى محمد المحمود كالباسرة المقصود المتقرب بتجلي الصفات وغنى الذات، وفاطر الفطر ذو الجلال، والحسن ذو الكمال، اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل، هو الذي سماكم مسلمين حنيفًا مسلمًا، ولا رب إلا ربي شيخنا وهو شيخنا وسيدنا «الحسين حمدان الخصيبي» سفينة النجاة وعين الحياة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، تفلحوا يا مؤمنون، حي على خير العمل بعينه الأجل، الله أكبر، الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها، الله مولاي يا علي، أسألك أن تقيمها وتديمها ما دامت السموات والأرض، وتجعل السيد محمد خاتمها، والسيد سلمان زكاتها، والمقداد يمينها، وأبا ذر شمالها، نحمد الله بحمد الحامدين، ونشكر الله بشكر الشاكرين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أسألك اللهم مولاي بحق قداس هذا الأذان، وبحق متى وسمعان، والتواريخ والأعوام، بحق يوسف بن من كان، بحق الأحد عشر كوكبًا الذين رآهم يوسف بالمنام، تحل في دياركم البركة بالتمام، يا مولاي يا علي يا عظيم» وهذا كلام مليء بالشرك والوثنية وتقديس الكواكب والنجوم.

الأعياد عند النصيرية:

وللنصيرية أعياد كثيرة في أوقات مختلفة يوافقون فيها المجوس والنصارى، ومن أعيادهم: عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، ومثله عيد المهرجان، ومن أعيادهم المشابهة لما في النصرانية: عيد الغطاس، وعيد السعف، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارا، والذي تحتفل به الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية، كما أنهم يحتفلون بعيد الغدير، وعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء، ويظهر من احتفالهم بهذه الأعياد تأثرهم بالمجوسية والنصرانية والباطنية.

وقد ذكر «عبد الحسن العسكري» عن احتفالهم بعيد النيروز ذلك فقال: «احتفال النصيرية «بعيد النيروز» يدل على الأثر الفارسي في النصيرية، ويشير إلى تمجيدهم للفرس بدعوى حلول الإله وشخوصه في ملوكهم، حتى إنهم جعلوا منهم ثالوثًا نظير ثالوثهم، وهم يدَّعون الإسلام؛ حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة، وتجلى الإله فيهم وهم «شروين، وكروين، وكسرى»، ويقابلهم في الإسلام النصيري «المعنى والاسم والباب» علي ومحمد وسلمان». [انظر فرَق معاصرة ١/٤٣٨].

جرائم النصيريين قديمًا وحديثًا:

وفي العصر الحاضر استطاع النصيريون الوصول إلى الحكم في سوريا بدعم من الشيوعيين والقوميين والبعثيين، وانتشروا في المدن السورية، ولهم وجود في سهل عطار شمال لبنان وضواحي مدينة طرابلس، وهناك عدد منهم في تركيا وإيران وتركستان الروسية وكردستان، ولم يترك هؤلاء النصيريون فرصة في القديم والحديث إلا واغتنموها في الوقيعة والفتك بأهل السنة والحروب الصليبية شاهدة على ذلك، فمدينة «أنطاكية» ما سقطت في أيدي الصليبيين إلا بفعل الاتفاق الذي تم بين الزعيم النصيري

من معتقدات النصيرية الفاسدة: أن أول وقت للصلاة عندهم صلاة الظهر وتتألف من ثماني ركعات ثم صلاة العصر وتتألف من أربع ، ثم المغرب وتتألف من خمس ، ثم العشاء وتتألف من أربع ، ثم الفجر وتتألف من ركعتين.



«الفيروز» وبين قائد الحملة الصليبية «بهمز».

ومن جرائم النصيرية في الماضي ما قام به النصيري «تيمور لنك» في بغداد وحلب والشام عام ٨٢٢هـ، حيث أمعن في القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة، ثم أنشأ من رءوس أهل السنة تلة عظيمة، وقد قتل القوات المدافعة عن بغداد من أهل السنة، ثم سافر إلى الشام وأنزل أفظع المصائب، التي لم يُسمع بمثلها، بأهل الشام من أهل السنة، ولم يسلم من إجرام هذا النصيري الحاقد بالشام إلا بعض النصارى الصليبيين.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى شيء من هذا فقال: «ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانتهار النصارى، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم». [مجموع الفتاوى: ٣٥/١٥٠، ١٥١].

تاريخ النصيرية يقطر حقدا ودمًا:

وفي عصرنا الحاضر قام النصيريون بأعمال إجرامية ضد أهل السنة العزل الأبرياء، وأذكر هنا هذه الحقائق على سبيل المثال، في عام ١٩٧٦م رتب الجيش النصيري السوري بالتعاون مع الميلشيات الصليبية المارونية الحاقدة حصار واقتحام «تل الزعتر الفلسطيني»، وكان يحتوي على سبعة عشر ألف فلسطيني من أهل السنة، وسلطوا مدافعهم على المخيم حتى دكّوه، وفي الوقت ذاته كانت البحرية الإسرائيلية تحاصره من البحر وتطلق القنابل عليه، وكانت نتيجة هذه الأعمال المشتركة بين النصيريين واليهود ستة آلاف قتيل من أهل السنة وعدة آلاف من الجرحى وتدمير المخيم بالكامل.

وفي فجر اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٨٠م قام حوالي (٢٠٠) عنصر من اللواء (٤٠) واللواء (١٣٨) من سرايا الدفاع التابعة مباشرة للمجرم النصيري «رفعت الأسد» بالانتقال بالطائرات المروحية من دمشق إلى سجن «تدمر» حيث قاموا بإلقاء القنابل على السجناء، وفتح نيران أسلحتهم عليهم وهم في زنزاناتهم؛ حيث ماتوا عن آخرهم خلال نصف ساعة، ثم قامت بعد ذلك شاحنات كبيرة بنقل جثث القتلى ورميها في حُفَر قد أُعدَّت مسبقًا لرمي الجثث في شرق بلدة «تدمر»، وقد راح ضحية هذه المجزرة الشنيعة أكثر من سبعمائة شاب مسلم!!

وقد ناقشت لجنة حقوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة وقائع هذه المجزرة في مدينة «جنيف» في دورتها السابعة والثلاثين، وقد عرضت على اللجنة وثيقة حول هذه المجزرة برقم (٤/١٤٦٩) بتاريخ ١٩٨١/٣/٤م.

أما ما وقع في مدينة حماة عام ١٩٨٢م، فقد هز كل مسلم صادق، حيث حاصر النصيريون بقواتهم المختلفة مدينة حماة، وقاموا بعمل حزامين حولها، وقد أدى ذلك إلى عزلها عن بقية المدن السورية، وسد جميع المنافذ والطرق المؤدية إليها، وتم قطع الماء والكهرباء عنها إضافة إلى المؤن الغذائية والإسعافات الأولية، وقد بدأت القوات النصيرية بعد ذلك بقصف المدينة قصفًا مركزًا شديدًا، بينما كانت وحدات المشاة تقوم باقتحام الأحياء السكنية ومداهمة المنازل وقتل من فيها، وقد أدت هذه الأفعال إلى تدمير كثير من المساجد والأسواق التجارية والأحياء السكنية، بل والمقابر، وقد أسفرت هذه الجريمة عن قتل ما يربو عن أربعين ألفًا من أهل السنة، واعتقال «خمسة عشر ألفًا» آخرين، كما نزح الكثير منهم إلى البلاد المجاورة، وقد التقيت ببعضهم في المدينة النبوية، وسمعت أشياء يندى لها الجبين، قام بها هؤلاء المجرمون.

من ضلالات النصيرية الفاسدة: أنهم يسقطون التكاليف عن مشايخهم الذين يصلون إلى درجة الاصطفاء تلك المنزلة التي يعتبرونها فوق درجة النبيين، وفوقها درجة أخرى أعلى منها وهي درجة الحجاب، فمن وصل منهم إلى هذه الدرجات كما يزعمون أصبح حراً وسقطت عنه التكاليف.



في عصرنا الحاضر قام النصيريون بأعمال إجرامية ضد أهل السنة العزل الأبرياء؛ فقد قام الجيش السوري منذ السبعينيات بالتعاون مع الميلشيات المارونية الصليبية الحاقدة بحصار واقتحام تل الزعتر الفلسطيني، ومجزرة حماة السورية في ١٩٨٢م ، وما يجري اليوم على أرض سوريا يشهد على جرمهم في حق أهل السنة .



مأساة عظيمة ووضع خطير:

وإن ما يجري على أرض «سوريا» الآن بمرأى ومسمع من العالم دون خجل أو حياء يدل على مدى عداوة هؤلاء للمسلمين، فهم اليوم يرتكبون أفظع الجرائم ضد الشعب السني المسلم. والأمر لا يحتاج إلى تعليق، غير أنني -وعبر هذه المجلة المباركة- أناشد المسلمين في أقطار الدنيا حكامًا ومحكومين بتقوى الله تعالى، ومناصرة إخواننا هناك، ومد يد العون لهم، ورفع الأكف بالدعاء والضراعة؛ لأن المأساة عظيمة والوضع خطير، وقد شاهدت ذلك بنفسي أثناء زيارتي للأردن في الشهر الماضي، وذهبت إلى بعض معسكرات اللاجئين وسمعت منهم العجب، وقد لمست مواقف مشرفة تسجل للمؤسسات الرسمية الأردنية والجمعيات الخيرية، كما أنني أحيي موقف سماحة العلامة قاضي قضاة الأردن الأستاذ الدكتور «أحمد خليل»، الذي قال في هذه الأزمة ما يلي: «إن ما يجري لأهلنا وإخواننا في سوريا هو وصمة عار في جبين الأمة العربية والإسلامية، وهو حرب طائفية بغيضة كشرت عن أنيابها، وإنها جرائم حرب ضد شعب أعزل لا يملك حولاً ولا قوة، أمام فاشية حاقدة طاغية، وزمرة ظالمة باغية، قتلت الشرفاء الأحرار، وروّعت وعذبت الأطفال الأطهار، واغتصبت المؤمنات الحرائر الأبرار، هدّمت المساجد، ودمرت وأحرقت البيوت على أصحابها، هجَّرت وشرّدت، كوارث وفواجع تقضّ المضاجع لتلقي بظلالها مُرَّ المواجع، أمانة في أعناق الأمة كلها، حكامًا ومحكومين، شعوبًا وقيادات أن تبادر بمواقف صادقة مخلصة، عاجلة غير آجلة، دون مماطلة أو إبطاء لوقف هذا الظلم والعدوان من الفئة الباغية التي لا ترقب في مؤمن ولا مؤمنة إلاً ولا ذمة».

وقد أجاب أستاذي العلامة الشيخ عبد المحسن العباد إمام المسجد النبوي عندما سُئل في درسه في المسجد النبوي بتاريخ ١٤٣٣/٤/١٨هـ عن التبرع لأهل سوريا وهل جهادهم في سبيل الله؟ فقال: «يُرجى أن يكون في سبيل الله، يُرجى أن يكون في سبيل الله، والتبرع من أجل الإحسان إليهم، وما يسدون به رمقهم، وما يستفيدون منه لا شك أنه من الأعمال الطيبة، ونسأل الله عز وجل أن يوفقهم لكل خير، وأن يكفيهم كل شر، وأن يوفقهم ليحصلوا على ما يريدون من حصول الاستقامة، والبعد والسلامة من الدول التي ألحقت الضرر بهم، وأن يكون سلامتهم منها على خير في دينهم ودنياهم».

وقد سبق الجميع إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في فضل جهاد هؤلاء: «ولا ريب أن جهاد هؤلاء، وإقامة الحدود عليهم، من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصدّيق وسائر الصحابة بدءوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فُتح من بلاد المسلمين، وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين، وحفظ رأس المال مقدم على الربح، ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين، والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله». [مجموع الفتاوى ج٣٥/ ١٥٨، ١٥٩].

وبعدُ؛ فهذه كلمات لهؤلاء الأئمة الأعلام أجدد بها الدعوة إلى نصرة إخواننا على البغاة المعتدين والظلمة الآثمين، أسأل الله عز وجل أن يهلكهم ويقضي عليهم، وعندئذ سنفرح بنصر الله، ونردد قوله تعالى: «فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الأنعام: ٤٥].

وعساه أن يكون قريبًا. والحمد لله رب العالمين.

ماذا نريد من رئيس الدولة؟

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد: قال الله تعالى: «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» [الحج: ٤٠- ٤١].

إن الحكم في الإسلام تكليف لا تشريف، ووسيلة لا غاية.

أما كونه تكليفًا لا تشريفًا فقد دلت عليه الأحاديث الكثيرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ». [البخاري: ٧١٤٨].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» [مسلم:١٨٢٥].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». [البخاري:٧٠٩٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ». [صحيح الجامع:٥٥٧١].

وأما كونه وسيلة لا غاية فهو وسيلة فعَّالة إلى مقاصد معينة، يستطيع الحاكم تحقيقها؛ لما للحاكم من سلطان يستطيع به تنفيذ ما يعجز عنه آحاد المسلمين، فيختصر الطريق، ويبلغ الأهداف، ويحقق المقاصد، وهي بعض مقاصد الإسلام.

فما هي مقاصد الحكم الإسلامي؟

يقول الفقهاء في تعريفهم للإمامة -أي: الخلافة-: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدِّين، وسياسة الدنيا به».

فهذا التعريف يؤكِّد على وظائف الخلافة، أي: مقاصد الحكم، ويُجْملها في مقصدين كبيرين، الأول: حراسة الدين، والثاني: سياسة الدنيا به.

معاني حراسة الدين:

أما حراسة الدين فهي تعني شيئين: هما حفظه، وتنفيذه.

وحفظ الإسلام يعني: إبقاء حقائقه ومعانيه، ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليها صحابته الكرام، ونقلوها إلى الناس من بعده. فإن الله تعالى لم يقبض نبيه صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه قوله: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» [المائدة: ٣].

وقد وصى صلى الله عليه وسلم أصحابه في آخر حياته بالاتباع، وحذرهم من الابتداع: فعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العيونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ: كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني].

وعلى هذا لا يجوز أيّ تبديل أو تحريف في دين الله عز وجل؛ لأنّ التحريف والتبديل يدخلان في نطاق الابتداع المذموم، ولا يجوز التردد أبدًا في منع التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد؛ لأنّ الفرد إن كان مسلمًا فليس من حقه أن يبدِّل دين الله، وإذا اختار لنفسه الضلالة ولعقيدته الفساد فليس من حقه أبدًا أن يخرج على نظام دار الإسلام ويشوّه حقائق الإسلام، وقد أشار الفقهاء إلى ما ذكرناه، فقالوا: إنّ على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بيّن له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدِّين محروسًا من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

ومن لوازم حفظ الدين: تحصين الثغور بالعُدة المانعة والقوة الدافعة؛ حتى لا تظفر الأعداء بغرَّة ينتهكون فيها محرمًا، ويسفكون فيها لمسلم أو معاهدًا دمًا.

وأمّا تنفيذ الدين -وهو المظهر الثاني لحراسته- فيتحقق في أمور:

منها: تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة مع غيرها من الدول.

ومنها: حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره، وترغيبهم في ذلك، ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية.

ومنها: إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام؛ إذ لا يمكن الادِّعاء بحفظ الدِّين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، قال تعالى: «ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» [الحج: ٤١].

سياسة الدنيا بالدين:

وأما المقصد الثاني وهو سياسة الدنيا بالدين، فمعناه إدارة شئون الدولة والرعية وفقًا لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقًا لقواعد الاجتهاد السليم. فهذه هي السياسة الشرعية لأمور الدنيا بالدين.

ومن أوجه هذه السياسة التي يضطلع بها الحكم الإسلامي ويلتزم بها الحاكم المسلم، والتي أشار إليها الفقهاء ما يأتي:

أ- أن يعمل الإمام على جمع الكلمة، وتوحيد صفّ المسلمين، حتى يكونوا أمة واحدة كما أمر الله تعالى، والنصوص الدالة على ضرورة ذلك أكثر من أن تُحصَر، ومنها قوله تعالى: «وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ» [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تبارك وتعالى: «وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: ١٠٥]، وقوله سبحانه وتعالى: «وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» [الروم: ٣١- ٣٢].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على الاجتماع وينهى عن التفرق: فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ [البخاري:١٤٣٨].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[البخاري:٦٠١١].

وكان صلى الله عليه وسلم يكره التفرق ويحاربه في أدنى صوره: فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَرَآنَا حَلَقًا، فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ»؟! قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا»؟! فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ» [مسلم:٤٣٠].

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه

قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ»، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ. [أبو داود:٢٦١١ وصححه الألباني].

فإن وُفق الإمامُ لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم، فقد وضع قدمه على طريق الإصلاح، ووُفق لكل ما هو مطلوب منه بعد ذلك، فإنما هو بإخوانه، فإن جمعهم حوله، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، كانوا عونًا له على ما يُراد منه، وإن نأى بنفسه عن إخوانه، أو ركن إلى البعض دون البعض، أو قرَّب البعض وأقصى البعض، فلن يستطيع أن يقوم بمهامه، ولا أن يحقق ما يراد منه.

العدل أساس الملك:

ب- أن يعمل الإمام على إقامة العدل بين الناس؛ لأنه هو الأساس الذي لا قيام لدولة بدونه، ولا بقاء لأمة بفقده:

قال الله تعالى: «يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ» [ص: ٢٦].

وقال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا». [صحيح الجامع: ٥٠٨].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا».[مسلم: ١٨٢٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلاَّ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً لاَ يَفُكُّهُ إِلاَّ الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ».[صحيح الجامع:٥٥٧١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ» [الترمذي:١٣٤٤].

ولهذا كان من صفة عقد البيعة للإمام أن يقال فيها: بايعناك بيعة رضًا على إقامة العدل والإنصاف، والقيام بفروض الإمامة.

والعدل يتضمَّن إعطاء كل إنسان حقَّه وعدم ظلمه في شيء، فمن الظلم تكليفه بما لا يجب عليه شرعًا، أو أخذ ماله بغير وجه، أو منعه ما يستحق، وهذا ما أشار إليه الفقهاء، وقد وضح العلامة ابن خلدون الظلم الممنوع فقال: «ولا تحسبنَّ الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب، كما هو المشهور، بل الظلم أعمّ من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد، أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباية الأموال بغير حقها ظلم، والمنتهبون لها ظَلَمَة، والمانعون لحقوق الناس ظَلَمَة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران».

اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء:

وعلى هذا يجب على الرئيس أن يقوم بما يلزم لتحقيق العدل ومنع الظلم، وأوَّل ما يلزمه في هذا الباب: اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء، والثاني: مراقبتهم.

أمَّا اختيار الموظفين الأكفاء، فهذا شيء ضروري؛ لأن الخليفة لا يمكنه أن يباشر أمور الناس بنفسه؛ لأن ذلك فوق طاقته، بل ويستحيل عليه حتى لو أراده، وإنما يباشر أمور الناس بواسطة نوَّابه، أي: الموظفين الذين يختارهم، فعليه أن يتخيَّر الكفء الأمين، ومرد الكفاءة إلى القدرة على ما يتولاه، ومردُّ الأمانة عدم التفريط بشئون ما وُلي عليه من أمور، وقد أشار القرآن الكريم إلى قانون تولي الأمور الواجب مراعاته من كل حاكم وولي أمر، قال تعالى: «إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ» [القصص: ٢٦]، فإذا وُفِّق الخليفة إلى حسن اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء حكموا بالعدل، وحفظوا حقوق الناس ومنعوا عنهم الظلم، وشعر الناس بالأمن والأمان والاطمئنان، وانكمش أولو الأطماع وأهل البغي، ولم يستطع قويٌّ أن يتعدَّى على ضعيف؛ لأن الدولة أقوى منه، ولم يخش الضعيف المحق من عدوان القوي؛ لأن الدولة مع المحق وإن كان ضعيفًا، وهذا كله يؤدي إلى كسب قلوب الناس وربطهم بالدولة وتعليقهم بالإمام، فيزداد حرصهم على بقاء دولتهم واستعدادهم للذود عنها؛ لأنها في نظرهم كالبيت لهم، وكالحارس لحقوقهم.

أما إذا عيَّن الخليفة الموظفين العاجزين والفاسدين والخائنين، فإنَّ الناس سيكتوون بنار فسادهم وخيانتهم، ويقعون تحت ظلمهم وبغيهم، مما يضعف الدولة والولاء لها، ويزهِّدهم في الدفاع عنها، وتكون النتيجة أن يثوروا على هذا الرئيس الذي ابتلاهم بهؤلاء الموظفين الذين ظلموهم، ويخلعوه من الحكم كما حدث للنظام البائد. ولهذا كله يجب الاهتمام الكامل باختيار الموظفين الأكفاء الأمناء، وبدون ذلك يقع المحذور الذي أشرنا إليه.

ولا يكفي أن يعين الخليفة الأكفاء الأمناء، بل عليه أيضًا أن يراقبهم في أعمالهم، فقد يخون الأمين ويغش الناصح كما يقول الفقهاء، وحتى إذا استبعدنا خيانتهم وغشهم، فلا يمكننا استبعاد خطئهم، وظلم الناس خطأً كظلم الناس عمدًا من جهة لحوق الضرر بالمظلوم وكرهه للظلم، فلا بُدَّ من المراقبة المستمرة والمحاسبة الدائمة للموظفين، حتى لا تقع خيانة ولا غش، ويقل الخطأ، ويعرف الناس شدة حرص الخليفة على العدل ومنع الظلم، ويخرج هو من عهدة الخلافة ومسئولية الحكم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُول عَنْ رَعِيَّته» [صحيح سبق تخريجه].

أهمية إشاعة الأمن والاستقرار في دار الإسلام:

ج- ومن واجبات الخليفة المهمة، ومن واجبات الحكام المسلمين جميعًا، إشاعة الأمن والاستقرار في دار الإسلام، حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وينتقلوا في دار الإسلام آمنين مطمئنين.

وهذا المقصود يتحقق بصورة كاملة بتطبيق القانون الإسلامي الجنائي، أي: بتطبيق العقوبات الشرعية على العابثين في الأمن، المعتدين على الناس، بشرط أن يكون التطبيق عادلاً وعلى الجميع بلا محاباة ولا تردد، فإذا ما طُبِّقت الأحكام الشرعية على المعتدين أمِنَ الناس وخاف المجرم، وتحقق الاطمئنان، فإن الناس قسمان: قسم يخاف الله، وقسم لا يخاف الله، فالأول يمنعه الخوف من الله من الفساد بالأرض بأي نوع من أنواع الفساد، كما امتنع صالح ابني آدم عن قتل أخيه، وقد قال له: «لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ» [المائدة: ٢٧- ٢٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» وذكر منهم: «وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ» [البخاري: ٦٦٠].

فالذي يخاف الله لا يخافه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. والذي لا يخاف الله يسعى في الأرض فسادًا، فلا بد من ردعه ومنعه بإقامة الحدود عليه، فإن الله ليَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن، وقد قال الله تعالى: « وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٧٩]، وأمر سبحانه وتعالى بحضور جماعة من المؤمنين جلد الزناة؛ ليكون في إشهاره زجر لغيره، فقال تعالى: « ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » [النور: ٢]، فإقامة الحدود تمنع المحدود من العود، وتمنع غيره من الوقوع في مثل ما وقع فيه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا».[صحيح ابن ماجة:٢٠٥٧].

ضرورة تهيئة ما يحتاجه الناس:

د- ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين: قيام الحكم الإسلامي بتهيئة ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والحِرَف والعلوم، فهذه من فروض الكفاية التي يجب وجودها في الأمة لسدِّ حاجاتها.

ومن الواضح أن الصنائع المحتاج إليها تختلف باختلاف العصور والأزمان، فما كان الناس يحتاجون إليه في الأمس قد يحتاجون إلى غيره اليوم، فعلى الحكم الإسلامي ملاحظة ذلك وتهيئة وسائله، وبذلك يوفر فرص العمل للشباب، ويقضي على البطالة التي تفشت فيهم، فإذا وجد الشباب عملاً يستغرق أوقاتهم، ويستنفد طاقتهم، كانوا عوامل بناء وإصلاح في مجتمعهم، ونهضوا بوطنهم، وحققوا لأمتهم ما تريده منهم.

هـ- ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين: استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية التقدم الاقتصادي والعيش الكريم، وقد أشار الفقهاء إلى هذا الواجب، فقد قال الفقيه المشهور أبو يوسف في كتابه القيم «الخراج»، الذي وجَّهه إلى الخليفة هارون الرشيد: «إن على الخليفة أن يأمر بحفر الأنهار وإجراء الماء فيها، وتحميل بيت المال وحده نفقات ذلك». وفي البلاد بفضل الله من الخيرات ما لو أحسن استغلاله لم يبق في البلد فقير. فعندنا أرض واسعة صالحة للزراعة بفضل الله، والإسلام يدعو إلى استصلاح الأرض وزراعتها: فعَنْ سَعِيد بْنِ زَيْد عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ». [صحيح الترمذي:١٣٧٩].

فلو قام الرئيس بتوزيع الأرض على الشباب، وكلفهم بزراعتها، وأوصل لهم الماء اللازم لذلك، واشترط عليهم استصلاحها في زمن معلوم، وإلا استُردت ممن يقصر لتسابق الشباب إلى عمارة الأرض وزراعتها، ولصار عندنا فائض من المحاصيل الزراعية التي تُصدر للبلاد الخارجية، وتدرّ دخلاً على بلادنا يستغل فيما تحتاجه البلاد، وبذلك يرتفع دخل المواطن، وتتحقق له الحياة الحرة الكريمة.

هذا ما نريده من رئيس البلاد، وهذه هي واجباته التي كلفه الشرع بها، فهل يستجيب، ويستعين بالله على العمل؟ نرجو الله.

والله نسأل أن يولي أمورنا خيارنا، وأن يستعمل علينا من يحكم في الأمة بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



منبر الحرمين

في الإجازة عمل وإنجاز

فضيلة الشيخ
إبراهيم بن محمد الحقيل
إمام مسجد فهد المقيل بالرياض

الحمد لله العليم القدير؛ «جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا» [الفرقان:٦٢] نحمده على نعمه وآلائه، ونشكره على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ جعل الدنيا دار عمل، وجعل الموت نهاية العمل؛ ليُجزى كل عامل بما عمل «وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ» [النجم:٤٠-٤١].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ حذر أمته من الغرور بالدنيا ومتاعها، وبين لهم حقيقتها، وكشف لهم حقارتها، وأظهر خوفه عليهم منها، وأقسم قائلا: «فَوَ الله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واعمروا أوقاتكم بطاعته عز وجل؛ فكل وقت يمر بالعبد ليس له فيه طاعة فهو عليه خسارة، والمفرطون في الدنيا من أهل النار يتمنون العودة إليها حين مفارقتها لا لأجل متاعها وعمرانها، ولا لأجل المال والولد؛ وإنما لأجل العمل الصالح، حين عاينوا أهميته حال احتضارهم «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ» [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

بداية الإجازة الصيفية

أيها الناس: تدور بنا الليالي والأيام ونحن لا نشعر، وتقربنا من آجالنا وكثير منا في غفلة.. يرقب الناس بداية العام

فينتصف وينتهي سريعًا، وهاهم أولاد المسلمين يبدؤون إجازتهم بعد أشهر مرت كلمح البصر.. وهي فراغ كبير يكون نعمة لشباب وفتيات، ونقمة على آخرين منهم.

الفراغ في حياة المؤمن

والمؤمن الحق لا فراغ عنده، بل هو في شغل دائم ما دام في الدنيا، وفترة شغله الذهبية هي فترة الشباب، والله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب» [الشرح:٧-٨]، أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين. فالمعنى: إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال فاقبل على عمل آخر بحيث تعمر أوقاتك، ولا يبقى فراغ في حياتك. قال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «لو تفرغت لنا، فقال عمر: وأين الفراغ؟ ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى».

ولو نظرنا في أحوال الصالحين من أسلافنا لوجدنا أنهم فهموا هذه الآية، وحققوا مقصدها، وعملوا بمقتضاها؛ فهم في انتقال من عمل إلى آخر. وعند فراغهم من واجبات معايشهم يشتغلون في بناء آخرتهم، وعند قضاء عمل صالح ينتقلون منه إلى آخر، فلا يبقى في حياتهم فراغ ولا بطالة، ويؤدون كل وظيفة في وقتها فلا تأجيل ولا تسويف حتى لا تتراكم الأعمال ويعسر إنجازها، أو تنجز بلا إتقان.

وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه على الناس قال له: «إني موصيك بوصية إن أنت حفظتها: إن لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة». فهذا قانون في العمل يستوعب الوقت، ولا يدع مجالا لفراغ، ويؤدي إلى الانضباط والإتقان، والصحابة رضي الله عنهم أنجزوا من الأعمال والفتوح وتبليغ العلم ونشر الإسلام وبناء الدولة في سنوات قلائل ما لم ينجزه غيرهم، ولهم في كل ميدان أعمال، وفي كل مجال إنجاز، حتى طغت أعمالهم ومنجزاتهم على سنوات أعمارهم.

ومن يصدق أن أبا بكر ما تولى الخلافة إلا سنتين، فكسر فيها المرتدين في أنحاء الجزيرة، وجمع القرآن، وناوش الفرس والرومان، وثبت أركان الدولة، وقضى على النفاق والردة، كل ذلك في سنتين فقط، وهكذا من بعده من الخلفاء، ومن سائر الصحابة رضي الله عنهم، نقرأ سيرهم فنجد إنجازات كبرى، وإنتاجًا غزيرًا مع أن أعمارهم في الإسلام قليلة؛ لأنهم بذلوا أعمارهم وأوقاتهم لله تعالى، فلا فراغ لديهم أبدًا، فبورك لهم في أوقاتهم وأعمالهم حتى فاقت منجزاتهم أعمارهم.

من أسباب الإنجاز والإنتاج

وكل من حذف فكرة الفراغ من رأسه، وشغل نفسه بما ينفعه؛ كان له من الإنجاز والإنتاج ما يسره، وكأنها سنة مضطردة حتى مع الكفار، فمنهم من كان له إنتاج كثير جدًا، لا يقدر عليه الجماعة من الناس، ولو قرئت سيرهم لكان القاسم المشترك فيها أنه لا فراغ عندهم، ولا تضييع للوقت فيما لا نفع فيه.

علو الهمة عند السلف

ولقد كان الصغار من أبناء أسلافنا يناطحون الكبار في هممهم، ويتطلعون إلى تبوء منازلهم، ولا يحقرون في المعالي أنفسهم، ويشغلون فراغهم فيما ينفعهم، ومن ذلك ما روى البخاري من حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «إِنَّ رِجَالاً مِنْ

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ الله، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ..."

وقد رأى رؤيا كانت سببًا في محافظته على قيام الليل، والشاهد هنا: أنه كان يقيس نفسه بالكبار، ويزري بها لما لم تصل إلى ما وصلوا إليه، حتى بلغ مناه، ورأى ما يرون.

وفي شباب التابعين عروة بن الزبير رضي الله عنهما، الذي صار من كبار فقهاء المدينة، وما نال الفقه والعلم إلا بشغل فراغه بما ينفعه، وجانب ما لا نفع فيه، وكان يجيل فكره في آيات القرآن يستخرج العلم والفقه منها، ويسأل عما أشكل عليه يقول رحمه الله تعالى قلت: «لعَائِشَةَ زَوْجِ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يَوْمَئِذ حَدِيثُ السِّنِّ أَرَأَيْت قَوْلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: « إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا » [البقرة:١٥٨] فَمَا أُرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لاَ يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَلَّا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ، كَانَتْ: فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَطَّوَّفَ بِهِمَا..." الحديث.

فاستشكل معنى الآية وهو حدث صغير، ولولا تدبره للقرآن، واشتغاله بما فيه من الفقه لما استشكل ذلك، فلا عجب أن يكون بعد ذلك من كبار الأئمة في الفقه؛ لأنه شغل صباه وشبابه في العلم.

ومن أتباع التابعين الإمام المشهور مالك صاحب المذهب، وما كان له أن يكون إماما لو أضاع مقتبل عمره، وسنوات شبابه في الفراغ والبطالة، قال رحمه الله تعالى: "كُنْتُ آتي نافعاً، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ...فَيَنْزِلُ من دَرَجِه، فَيَقِفُ مَعِي، وَيُحَدِّثُنِي، وَكَانَ يَجْلِسُ بَعْدَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ، فَلاَ يَكَادُ يَأْتِيْهِ أَحَدٌ". إنه لم يسلك جادة أقرانه، واختص بنافع وحده، فحين زهد الطلبة فيه لازمه هو، وأين ذكر أقرانه؟! وذكر مالك قد ملأ ما بين الخافقين، ومذهبه في الفقه والفتيا بلغ المشرقين.

فالجد والاجتهاد والإنتاج يكون أكثر في مرحلة الشباب، ولكن لا يكون إلا لمن أخرج فكرة الفراغ من عقله، وشغل نفسه بما ينفعه من أمور دينه ودنياه، قالت حفصة بنت سيرين رحمها الله تعالى: "يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب؛ فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب". وهي وصية جربتها هذه المرأة الصالحة، ووعاها الكهول والشيوخ، ولكن أكثر شباب اليوم وفتياتهم في غفلة عنها؛ فأوقاتهم تضيع هدرًا، وأعمارهم تذهب سدى، ولم يحققوا شيئًا يستحق ما عاشوه من أعمار ينفع أمتهم، ويخلد ذكرهم، ويرثه من بعدهم، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر، والعلماء كذلك لم يورثوا للأمة مالاً، وإنما ورثوا العلم، وإنما ورث المال تجار الأمة وأثرياؤها وملوكها، فذهب المال، واندرس ذكر أهله، وبقي العلم وبقي ذكر أهله، سواء كان علمًا دنيويًا انتفع به الناس، أو كان علمًا أخرويًا وهو الأفضل.

أعظم مشكلة تواجه الآباء والأمهات في الإجازة الصيفية

إن أعظم مشكلة تواجه الآباء والأمهات مع أولادهم هي أيام الإجازات حيث العطالة والبطالة، فلا محاضن تربوية مغرية تستوعبهم، وتشغل أوقات فراغهم، ولا مؤسسات ربحية تشغلهم وتدربهم وتشجعهم، حتى الأحياء السكنية لا يوجد

فيها ما يستوعب شباب الحي فيما ينفعهم إلا جهودا تطوعية اختيارية، ضعيفة القدرات والإمكانات، لا تستوعب إلا القليل منهم.

الاستثمار في الإنسان

إن أعظم استثمار تستثمره أمة من الأمم هو الاستثمار في الإنسان ببنائه وتعليمه وتأهيله، والأمم المتقدمة في الصناعة ما تقدمت إلا ببناء الإنسان بناء صحيحا، وأفضل مرحلة للاستثمار في الإنسان هي مرحلة الشباب؛ حيث القوة والذكاء والإقدام.

إن للشباب إقدامًا ومواهب إذا ما صرفت فيما ينفع صرفها الشباب فيما يضرهم ويؤذي أمتهم، والظواهر السيئة التي نراها من الشباب هي تعبير عن المواهب والإقدام ولكن بطريقة غير صحيحة..

إن ما نراه من تجمعات الشباب ولعبهم بسياراتهم، وتعريض أنفسهم وغيرهم لأخطار الموت والإعاقة، وما نراه من تسكعهم في الأسواق، وتجمعهم في المطاعم والمقاهي، وإحياء الليل بسهر على لهو ومحرمات، وغير ذلك من الظواهر السيئة، ما هو إلا طاقات تتفجر عند الشباب، ومواهب لم تجد مصرفا صحيحا تتوجه إليه، فتوجهت إلى ما يضرهم، ويؤذي مجتمعهم.

الفراغ داء قاتل

إن الفراغ قاتل لأصحابه، وإن تهميش الشباب عن أدوارهم في الحياة، والحيلولة بينهم وبين مهماتهم اللائقة بهم أفرز جيلا من الشباب والفتيات كثير الضجر والملل، دائم الشكوى والتأفف، لا ينفك عن طلب الترفيه والإسراف؛ لطرد الملل والسأم، ولم يستطع ذلك رغم ما يمتلكه من وسائل الراحة والرفاهية.. تراه إن خرج من بيت أهله أصابه الملل، وإن عاد إليه صاحبه الضجر، لا يدري ماذا يريد؟

وسبب ذلك عجزه عن إنجاز أي شيء، وإحساسه أنه مجرد رقم في البشر، لا أثر له عند أهله ولا مجتمعه ولا أمته.. هذا الإحساس القاتل هو الذي أفرز جنون الشباب فعبروا عنه بما ترونه من أذية أنفسهم وأذية الآخرين.

إنكم ترون عمال البناء يعملون أعمالاً شاقة تحت الشمس اللافحة والحر الشديد، والواحد منهم يترنم بأنشودة وهو يعمل، ولا يصيبه الضجر والملل رغم بُعده عن أهله وذويه؛ لأنه لا فراغ لديه للملل والسأم، ويحس بطعم الحياة؛ لأنه ينجز شيئًا لنفسه وأهله. بينما الفارغ من شبابنا يمل من كل شيء، ويرى هؤلاء العمال فيرحمهم وهو أولى بالرحمة منهم فهم في شغل وإنجاز وسعادة، وهو في فراغ قاتل يفتك به. وليعلم كل شاب أنه حين يجد نفسه في فراغ فليستعد للهم والغم وأنواع الأمراض النفسية؛ فالفراغ يجعل الإنسان لا شيء، وينقله من ميادين الأعمال إلى مخادع الأوهام والأحلام، ومن الإنجاز والإنتاج إلى العطالة والبطالة..

هذا الفراغ الذي هو مع الصحة نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، وهما سبب العمل والإنتاج، ينقلبان إلى سلاحين فتاكين، يفتكان بالأفراد والأمم إذا لم يستثمرا استثمارا صحيحًا.

فيا أيها الشباب: إن قصر المجتمع عن احتضانكم، ولم يوجد لكم من الأعمال ما يناسبكم، فلا تستسلموا لنزواتكم، وابحثوا عما ينفعكم بأنفسكم؛ فإن مجتمعا لم يأبه باحتياجاتكم لن يأسى على ما يصيبكم بسبب فراغكم «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب» [الشرح: ٧-٨].

نسأل الله الهداية والتوفيق.

ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

إعداد / فتحي أمين عثمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن من ثوابت الإسلام: أن يُعبد الله وحده، وأن نعبده بما شرع، لا بما يشرِّع الناس بأهوائهم، «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

ولقد تعرض الإسلام للبدع ومحدثات الأمور في العقائد والعبادات وغيرها، وكان ذلك بتخطيط ماكر نسجته عناكب الملل الضالة، وذهب الماكرون وجاء دور المقلدين الغافلين.

ومن المتفق عليه عند أهل العلم والفقه بالدين: أن البدع الثابتة تُنْسي الكثير من السنن، فما يفعله بعض الناس في المواسم طغى على ما وقع فيها من أحداث مهمة من أمور الإسلام، ولقد كان من بين ما أحاطه الناس بالبدع والخرافات ليلة النصف من شعبان، ومما يورث الحسرة أنهم يعضون على تلك البدع بالنواجذ، ويرون الدعوة إلى إعادتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم شيئًا غريبًا.

ومن ذلك اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات عبادات مخصوصة، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر والعبادة والدعاء وقراءة القرآن مشروع ومطلوب، وتبع ذلك أن ابتُدع لهم في إحيائها نظام خاص، فهم يجتمعون في المسجد عقب صلاة المغرب ويصلون صلاة خاصة باسم «صلاة النصف من شعبان».

يقول الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام السابق، رحمه الله:

١- إن البدع الثابتة تنسي الكثير من السنن، كما أن الحدث الذي يبنى عليه الاعتقاد والعمل أولى بالعناية من تحديد تاريخه.

٢- إن إحياء ما كتبه أهل العلم سابقًا فيه فوائد كثيرة، فهو مثوبة لعالم قضى نحبه، وجمع المسلمين المعاصرين مع السابقين، وتثبيت شبان لا يزالون في أول الطريق.

يقول الشيخ خليل هراس في مقال له في مجلة الهدي النبوي (عدد ٨ لسنة ١٣٨٦هـ مجلد ٣١): «كان صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة يصلي مستقبلاً الكعبة بيت الله الحرام، وقيل: إنه كان مع ذلك يستقبل صخرة بيت المقدس، فكان يصلي بين الركنين اليمانيين، لتقع صلاته إلى القبلتين معًا، فلما هاجر إلى المدينة تعذر عليه ذلك، فأمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس تألفًا لليهود من سكان المدينة؛ لعلهم إذا رأوه يصلي إلى قبلتهم، حملهم ذلك على الإنصاف والإذعان للحق، وترك ما هم عليه من الجحود والمكابرة، فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا؛ وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ووقع تحويل القبلة في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، فتكون المدة التي قضاها في التوجه إلى بيت المقدس هي سنة وأربعة أشهر أو خمسة، في حين يذكر الشيخ أبو الوفاء درويش في كتابه «القبلة» أن تحويل القبلة كان ليلة النصف من شعبان.

نقل الإمام القرطبي عن أبي حاتم البستي قال: «صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيام، وذلك أن قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كان يوم الاثنين لاثنتي

عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأمره الله عز وجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف الأول من شعبان». اهـ.

سريان الأمر بالتحويل وما يُستفاد من ذلك

جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الليلة قرآن، وأُمِرَ أن يستقبل الكعبة؛ فاستقبِلُوها، وكان وجه الناس إلى الشام، فاستداروا بوجههم إلى الكعبة.

ويذكر الشيخ خليل هراس أن العلامة ابن دقيق العيد ذكر في شرحه على «عمدة الأحكام» جملة من الأحكام الأصولية والفرعية عند الكلام على حديث ابن عمر المتقدم، وهي:

١- قبول خبر الواحد، وعادة الصحابة في ذلك اعتداد بعضهم بنقل البعض، وورد عنهم في ذلك ما لا يُحصى، ومعنى ذلك أن خبر الواحد العدل يفيد العلم بمضمونه، ويجب العمل به خلافًا للمتكلمين من المعتزلة وغيرهم.

٢- استدل الظاهرية بهذا الحديث على جواز نسخ الكتاب والسُّنَّة المتواترة بخبر الواحد؛ لأن القوم عملوا به ولم يُنكِر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- جواز نسخ السُّنَّة بالكتاب فإن الصلاة إلى بيت المقدس إنما كان بالسُّنة؛ إذ لا نص في القرآن على ذلك، وتحويل القبلة إلى الكعبة إنما كان بالكتاب.. والمنقول عن الشافعي رحمه الله خلاف ذلك.

٤- دل الحديث على أن حكم الناسخ لا يثبت في حق المكلف قبل بلوغ الخطاب له، فإنهم بنوا ما فعلوه من الصلاة جهة بيت المقدس، ولو ثبت الحكم في حقهم قبل بلوغ الخبر إليهم لكانت صلاتهم باطلة، فلا يجوز البناء عليها، بل كان يجِب استئنافها.

٥- قد يؤخذ منه أيضًا جواز الاجتهاد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو بالقرب منه؛ لأنه كان يمكنهم أن يقطعوا الصلاة ويستأنفوها أو أن يبنوا على ما صلوا، فرجحوا البناء.

٦- وفي الحديث أيضًا دليل على جواز مطلق النسخ؛ لأن ما دل على جواز الأخص دل على جواز الأعم.

٧- فيه دليل على جواز تنبيه من ليس في الصلاة لمن هو فيها، وأن يفتح عليه القراءة.

٨- قال الطحاوي: في هذا دليل على أن من لم يعلم بفرض الله تعالى ولم تبلغه الدعوة ولا أمكنه استعلام ذلك من غيره، فالفرض غير لازم له، والحجة غير قائمة عليه.

عبرة وحكمة التحويل

لما كان شأن ذلك التحويل عظيمًا، فقد كان امتحانًا امتحن الله به قلوب المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب والمشركين، وقد ذكر كل من ذلك الشيخ أبو الوفا درويش، والشيخ خليل هراس موقف كل طائفة منهم، يقول الشيخ أبو الوفا درويش: «أما المؤمنون الذين ثبّتهم الله بالقول الثابت، فقد اتبعوا الرسول، وصلوا إلى القبلة الجديدة التي ولاهم الله إياها، بغير اعتراض ولا نكير، بل عن رضًا وإيمان وتسليم وإذعان».

ويتفق الشيخ خليل هراس مع الشيخ درويش في أن المنافقين أخذوا يرجفون بالمدينة يحاولون أن يقذفوا الشك في قلوب المؤمنين يقولون: «ما يدري محمد أين يتوجه، لئن كانت القبلة الأولى حقًا لقد تركها وانصرف عنها إلى غيرها باطلاً، ولئن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل أول الأمر ثم اهتدى».

ثم يحدد رحمه الله حكمة التحويل في عدة نقاط هي:

١- المسلمون خير أمة أُخرجت للناس: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، ورسولهم خير الرسل؛ لأنه خاتمهم، وبرسالته تم بناء الدين الذي وضع كل رسول سابق لبنة في هيكله، حتى تم على يدي خاتم النبيين وكتابهم خير الكتب؛ لأنه مصدق لها ومهيمن عليها فناسب ذلك أن تكون قبلتهم خير القبل.

وخَير القِبل هي المسجد الحرام الذي هو

أول بيت وضع للناس مباركًا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا.

٢- إن الجهة لا تكون قبلة إلا إذا وجّه الله الناس شطرها، فكل وجهة وجّه الله الناس شطرها فهي قبلة، ولا فضل لجهة على أخرى في ذاتها، ولكن الجهة تفضل غيرها باختيار الله تعالى إياها كما قال تعالى: «قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [البقرة: ١٤٢].

٣- أراد الله أن يقطع حجة هؤلاء الذين يزعمون أن صخرة بيت المقدس خير من المسجد الحرام، فولى المسلمين الذين هم خير الأمم بشهادته تعالى شطر المسجد الحرام ليثبت أنه خير المساجد ويدحض حجة المعاندين: «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

٤- ومن تمام النعمة على الأمة التي تعد شريعتها متصلة بشريعة إبراهيم ومجدِّدة لها أن تكون قبلتها هي قبلة إبراهيم؛ لتتم لها الهداية: «وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

٥- في تحويل القبلة امتحان لإيمان المؤمنين؛ فإن المؤمن صادق الإيمان يمتثل أمر الله تعالى بغير اعتراض ولا تردد ولا إنكار، ولكن ضعيف الإيمان يساوره الشك، وتعبث بعقله الظنون وقد يحمله ذلك على الردة، ويدفعه إلى المروق من الإسلام: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ» [البقرة: ١٤٣].

٦- في تحويل القبلة تحقيق لرجاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان يرجو أن يوليه الله شطر البيت الحرام؛ لأنه قبلة إبراهيم الذي بُعث هو لتجديد ملته: «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ» [البقرة: ١٤٤].

٧- بيان أن البر لا يقف عند حد تولية الوجه شطر جهة خاصة، فمدار الإيمان على طاعة الله وفعل الخير: «لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ» [البقرة: ١٧٧].

٨- بيان أنه بعد أن بيّن الله القبلة يكون اتباع غيرها اتباعًا للهوى وانصرافًا عن الحق؛ لأن القبلة التي بيّنها الله هي الحق: «وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ» [البقرة: ١٤٥].

٩- تصديق ما أخبرت به كتب أهل الكتاب من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى القبلتين.

هذا في حين يقول الشيخ شلتوت عن شهر شعبان: والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط شهر شعبان كله، لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص؛ تدريبًا للنفس على الصوم.

وتعظيم رمضان إنما يكون بحسن استقباله والاطمئنان إليه بالتدريب عليه وعدم التبرم به، أما بخصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعائها فلم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول». اهـ.

على أنه ينبغي أن يعرف أن تفضيل إنسان أو زمان أو مكان أو جهة عن غيره لا يكون لذاته، إنما يكون باجتباء الله له واصطفائه على ما سواه، فالحذر أن نقع في مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله، وبين ما يُظنُّ للعمل به على أنه فضيلة من الفضائل.. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الإسلام وبناء الإنسان

الحلقة الثانية

إعداد/ أ.د/ السيد عبد الحليم محمد حسين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: نتابع في هذا اللقاء ما كنا قد بدأناه في العدد الماضي عن بناء الإسلام للإنسان المسلم، فنقول مستعينين بالله تعالى:

إنسان دعوة وجهاد:

والإنسان المسلم فوق ما سبق: إنسان دعوة وجهاد، أعني أنه لا يقف عند صلاح نفسه، بل يبذل جهده لإصلاح غيره، ودعوة الآخرين إلى ما هداه الله إليه.

ومن هنا وجدنا سورة العصر - على وجازتها - تشترط لنجاة الإنسان من خُسر الدنيا والآخرة - إلى جوار الإيمان وعمل الصالحات - التواصي بالحق والتواصي بالصبر: «وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» [العصر: ١-٣].

ومعنى التواصي هنا: أن يوصي غيره بالحق ويدعوه إليه، وأن يتقبل من غيره الوصية بالحق كذلك، فكل مسلم موص، وموصى بالحق في الوقت ذاته، وهذا هو معنًى التواصي.

فالمسلم بطبيعته داعية، لأنه يوقن أن رسالته للعالم كله، وللزمن كله، وللحياة كلها، فهو يسعى لمد شعاعها، وتعميم رحمتها على العالم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

وكما أن محمدًا صلى الله عليه وسلم بُعث رحمة للعالمين، كما علمنا القرآن، وكما قال عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة» [صحيح الجامع للألباني ٢٣٤٥]، فأمته مبعوثة كذلك بما بعثه الله به، وكل من اتبعه فهو داعية إلى الله، مقتد به، كما قال تعالى مخاطبًا له: « قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » [يوسف: ١٠٨]، فكل من اتبعه عليه الصلاة والسلام فهو داع إلى الله على بصيرة، أو هكذا يجب أن يكون.

وهكذا قال الصحابي ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

والمسلم يبدأ دعوته في محيطه الخاص أولاً، أي في أهله وأولاده وأسرته، كما قال الله

تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ» [التحريم: ٦]، وقال جل وعلا: «وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ» [طه: ١٣٢].

ثم يمتد بدعوته في المجتمع من حوله، داعيًا إلى الخير، محذرًا من الشر آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، فلا يجوز له أن يقف موقف المتفرج، أو غير المبالي، من شيوع المنكر، أو ضياع المعروف، بل لا بد أن يتقدم ليغيّر المنكر إن استطاع بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

ولا يفهم من «التغيير بالقلب» هنا: أنه «موقف سلبي» بل هو «غليان من الداخل» في مواجهة منكر غالب وراءه قوى ظالمة تسنده وتحميه، وهذا الغليان لا بد أن يتجسد يومًا في عمل إيجابي له أهميته في تغيير المجتمع.

المهم ألا يتخذ المنكر صفة الشرعية بطول السكوت عنه، فهذا هو الذي يجلب لعنة الله على المجتمعات، ويحل بها سخطه ونقمته: «لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ» [المائدة: ٧٨].

حتى لو كان الذين يقترفون المنكر، أو يحمونه، من أولي الأمر، وأصحاب الشأن، ينبغي للمسلم ألا يضعف في مواجهتهم بالأمر والنهي، بالحكمة والموعظة الحسنة، مستندًا إلى قوة الحق الذي معه، وإلى اليقين بأن رزقه بيد الله لا يملك أحد أن ينقصه، وأن أجله عند الله مسمى، لا يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم.

وهذا هو الجهاد الداخلي الذي اعتبره النبي العظيم في ذروة أنواع الجهاد حين سُئل عن أفضل الجهاد، فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر» [رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم٤٢٢٠].

ولا يقف المسلم عند حد الجهاد الداخلي بالدعوة والأمر والنهي، بل هو يجاهد بلسانه، ونفسه وماله، لتصل كلمة الله إلى الناس كافة، كما جاء في الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم، وألسنتكم» [رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم٣٠٩٦].

واعتبر القرآن الكريم الجهاد بتبليغ الدعوة من الجهاد الكبير، حين قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: «فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ» أي: بالقرآن «جِهَادٗا كَبِيرٗا» [الفرقان: ٥٢]، وهذه الآية مكية، أي قبل أن يشرع القتال في المدينة بسنوات.

وإذا كانت المذاهب والفلسفات الأرضية، والأديان السماوية المحرفة، تسعى لنشر دعوتها في العالم، فأولى بدين الله الخالد والخاتم أن يجد من ينشره في الآفاق حتى يتحقق وعد الله: «لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ» [الفتح: ٢٨]، وصدق الله إذ يقول: «سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ» [فصلت: ٥٣].

إنسان عقل وعلم:

وإذا كان إنسان الإسلام إنسان إيمان وعقيدة، فهو - في الوقت نفسه - إنسان عقل وعلم، إذ لا تعارض في الإسلام بين الإيمان والعقل، ولا بين الدين والعلم.

الدين الإسلامي لا يقول للمسلم ما تقوله أديان أخرى: اعتقد وأنت أعمى! بل يدعوه أن يكون على «بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ» [محمد: ١٤]، وأن يؤسس عقيدته على «اليقين» لا على «الظن»، وأن يعتمد على «البرهان» لا على «التقليد».

والقرآن ينادي أصحاب الملل والنحل المختلفة بقوله: «قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ» [البقرة: ١١١]، «قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ» [الأنعام: ١٤٨].

ويدمغ القرآن المشركين بقوله: «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا» [النجم: ٢٨].

وكما أنكر القرآن اتباع الظن في الموضع الذي يتطلب اليقين، أنكر كذلك اتباع الهوى والعواطف في مقام يوجب الموضوعية الخالصة، فقال تعالى عن عباد الأصنام: «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ» [النجم: ٢٣].

وإلى جوار ذلك شنّ حملة شديدة العنف على التقليد الأعمى للآخرين، الذي يجعل الإنسان يلغي عقله، ويفكر بعقل غيره، سواء كان هذا الغير يتمثل في الآباء والأجداد المعظمين عنده، أو في السادة الكبراء ذوي النفوذ والسلطان الذي قد يبلغ درجة التاله في الأرض، أو في جمهور الناس وغوغائهم الذين اختلت موازينهم.

وفي نقد التقليد للآباء جاءت آيات كثيرة، منها في القرآن المكي قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا

مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ» [الزخرف: ٢٣- ٢٤].

وفي القرآن المدني: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» [المائدة: ١٠٤].

وفي نقد التقليد للكبراء والسادة، تقرأ في القرآن المكي، وهو يصور بعض مشاهد الآخرة ومواقف المعذبين في الجحيم بعضهم من بعض: الأتباع والمتبوعين، الأذناب والرؤوس: «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٣٨- ٣٩]. وهذا التلاوم تكرر كثيرًا في السور المكية.

وفي القرآن المدني نقرأ قوله تعالى: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» [البقرة: ١٦٦- ١٦٧].

وفي نقد التقليد للعامة، والاندفاع وراء الجمهور، ولو كانوا على باطل، جاء الحديث النبوي يحذر من هذه التبعية فيقول: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا ألا تظلموا». [رواه الترمذي وقال: حسن غريب وضعفه الألباني].

ومن ناحية أخرى يحث القرآن بأبلغ الأساليب على النظر والتفكير والتدبر، سواء في آيات الله الكونية المنظورة، أم في آياته التنزيلية المقروءة والمسموعة، وبعبارة أخرى في المصحف الصامت وهو الكون! والمصحف الناطق وهو القرآن.

اقرأ إن شئت هذه الآيات: «قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [يونس: ١٠١].

«أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ» [الأعراف: ١٨٥].

«وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [الذاريات: ٢٠، ٢١].

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» [فصلت: ٥٣].

ويقول الله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢]. وقال سبحانه: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» [ص: ٢٩].

والعقل عند المسلمين ليس نقيضًا للوحي، بل هو الدليل على صدقه، ولهذا يعتبر المحققون من علماء المسلمين: أن العقل أساس النقل؛ إذ لولا العقل ما عرفنا وجود الله تعالى، ولا أقمنا الأدلة عليه، وأبطلنا شبهات الدهريين والملاحدة، ولولا العقل كذلك ما قام البرهان على إمكان الوحي ووقوعه، وصدق الأنبياء والرسل، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن للعقل مجالاً لا ينبغي أن يتجاوزه، وإلا تاه في أودية الضلال، وأما ذات الله تعالى وما يتعلق بجلال شأنه فليس للعقل سلطان عليه، والأولى له التسليم للوحي فيه، والتلقي عنه، بعد أن يثبت هو صحته، فالعقل هو الذي يقيم الدليل على صدق الوحي، ثم يعزل بعد ذلك نفسه - كما قال الغزالي - ويأخذ عنه ما لا يدخل في اختصاصه في شئون الألوهية وعوالم الغيب، وأحوال الآخرة، كما قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء: ٨٥].

وقد روي في حديث: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله» [حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٩٧٦]. وبهذا التسليم يوفر الإنسان طاقته العقلية للبحث فيما هو أجدى عليه وأليق به.

وعلى المسلم أن يطلب كل علم نافع مع أهله، فطلب العلم فريضة، منه ما هو فريضة عينية، ومنه ما هو فريضة كفائية على مجموع الأمة، سواء كان علمًا دينيًا أم دنيويًا، مما يحتاج إليه الفرد أو المجتمع.

وإنما العلم بالتعلُّم، وقد منح الله الإنسان أدوات العلم، فلا يجوز له أن يعطلها: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [النحل: ٧٨].

والقرآن يذم الكفار، ويجعلهم حطب جهنم لتعطيلهم هذه الأدوات: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ» [الأعراف: ١٧٩].

وينهى القرآن عن اتباع ما ليس للإنسان دليل عليه: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» [الإسراء: ٣٦].

ودليل الماديات هو الحس، ولهذا أنكر القرآن على الذين زعموا الملائكة إناثا بقوله: «أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ» [الزخرف: ١٩].

ودليل العقليات هو الفكر «قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» [البقرة: ١١١].

ودليل التاريخيات ونحوها هو النقل الصادق: «ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» [الأحقاف: ٤].

ودليل الغيبيات والشرعيات هو الوحي: «قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ» [يونس: ٥٩]، «نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» [الأنعام: ١٤٣]، وعلى هذه المبادئ أقام الإنسان المسلم حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، وتركت آثارها في حياة الإنسان علومًا ومعارف شتى، سادت الدنيا قرونًا من الزمان.

إنسان عمارة وإنتاج:

والإنسان المسلم ليس راهبًا في ديره، بل هو إنسان عمل وإنتاج للحياة، يعطيها كما يأخذ منها، ويعد عمارتها هدفًا من أهداف خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، كما قال الله تعالى على لسان صالح لقومه: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» [هود: ٦١]، ومعنى: «استعمركم» أي: طلب إليكم عمارتها، والأصل في الطلب هو الوجوب، وعمارة الأرض لا تنافي العبادة، بل هي - إذا استقامت على أمر الله، وانضبطت بتعاليم شرعه - تصبح عبادة وقربة إلى الله تعالى، كما سيأتي.

وقد جعل الله الأرض للإنسان مهادًا وفراشًا، وجعل له فيها مستقرًا ومتاعًا إلى حين وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وأودع فيها أسباب المعايش التي تحقق بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه إلا ورزقه موفور في هذه المعمورة.

ولكن جرت سنة الله ألا ينال رزقه إلا بكدح وسعي، فمن جد وجد، ومن زرع حصد.

يقول الله تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ» [الملك: ١٥].

فمن مشى في مناكب الأرض الذلول أكل من رزق الله، ومن قعد وتقاعس - بلا عذر - كان جديرًا ألا يأكل، إلا آخذًا من حق غيره من المشاة العاملين.

والعبادات الشعائرية في الدين الإسلامي لا تعطل المسلم عن العمل لدنياه، فهي لا تحتاج إلى تفرغ ولا انقطاع، بل هي دقائق معدودات لكل صلاة من الصلوات اليومية، الموزعة على أوقات اليوم والليلة.

والقرآن يصف رواد المساجد، العابدين لله تعالى بقوله: «يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ» [النور: ٣٦- ٣٧].

ليس هؤلاء العباد المخلصون رهبانًا ولا دراويش، بل هم رجال أعمال وأموال، ولكن لم تلههم دنياهم عن آخرتهم، ولم يشغلهم حظ أنفسهم عن حق ربهم.

والمسلم مطالب أن يعمل لدنياه، بما تيسر له من فروع الإنتاج، زراعة أو صناعة أو تجارة، أو رعيًا، أو صيدًا، أو استخراجًا لما في الأرض، أو غير ذلك، مما تحتاج إليه الجماعة.

وفي الحديث الصحيح: «ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة». [متفق عليه].

ومعنى هذا أن المسلم مطالب بالعمل للحياة إلى أن يتلفظ آخر أنفاسها، سواء انتفع بعمله أحد أم لم ينتفع، إنما هو مطالب بالعمل لذات العمل، فهو عبادة، وجهاد مقدس.

وإذا انصرف الناس عن الصناعات والحرَف، وأصبحوا فيها عالة على غيرهم من غير المسلمين، كان العمل في هذا الميدان أولى وأعظم أجرًا.

وإذا احتاج الناس إلى التجارة لانقطاع الطرق، أو لوجود مخاطر شديدة، أو لقلة المكاسب بها، أو لغلبة بعض الأفراد أو الفئات على الأسواق، وتلاعبهم بالأسعار واحتكارهم للسلع والأقوات، تكون التجارة هنا أفضل.

نسأل الله أن يوفقنا لما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، ويغفر لنا ما سلف من سيئاتنا، والحمد لله رب العالمين.

دُرر البحار

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٨٤٩- أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٤٥٥/٣) ح(١٥٧١٨) قال: حدثنا محمد بن إدريس، يعني الشافعي، عن مالك، عَنْ ابْنِ شِهَاب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ». [هذا حديث صحيح قد اشتهر عن ابن شهاب فتابع مالك متابعة تامة صالحٌ ويونس كذا عند أحمد (٤٥٥/٣)، وتابعهم الليث بن سعد عند ابن حبان في «صحيحه» (٧٣٤)].

٢٨٥٠- عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ، سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ». [حم (٤٤٦/٥) ح(٢٣٨٠٤)، ومالك في «الموطأ» (ح٥٥٢)، وهذا حديث صحيح، والمرأة تموت بموت بجُمعٍ، أي تموت أثناء الوضع وولدها في بطنها].

قلت: وننبه إلى أن هناك لفظًا آخر لهذا الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «الشُّهداءَ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، والمبطونُ، والغرقُ، وصَاحِبُ الهَدْمِ، والشهيدُ في سبيلِ اللهِ». [خ: ٢٨٢٩، ١٩١٤].

رثــــاءووفــــاء

أولاً: أكتفي في هذا العدد بهذين الحديثين العظيمين حتى أستطيع أن أكمل المساحة المعدة شهريًّا رثاءً ووفاءً لمن كان جزءًا من هذه السلسلة.

فكم كان حريصًا على مراجعة أحاديث هذه السلسلة بنفسه حديثًا حديثًا على كُتب السنة الأصلية؛ مخافة أن يقع التصحيف بالأحاديث أثناء مرورها بمراحل الإعداد للطبع، وذلك في كل عدد حتى تخرج للناس بنور أنفاس النبي صلى الله عليه وسلم.

إنه أخي الشيخ أبو يحيى زكريا حسيني، رحمه الله، تركنا ونحن نسير مع أنفاس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قطعنا مسافة (٢٨٥٠) حديثًا صحيحًا ثابتًا.

أهل الحديث هُمو أهل النبي وإن

لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا

« يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » [التحريم: ٨].

ثانيًا: فعلى مثل مصابنا فليحزن القلب ولتدمع العين، فالقلب يحزن، والعين تدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا أبا يحيى لمحزونون.

ولا نجد ما يهون علينا ما نجده إلا قول ربنا مخاطبًا نبينا صلى الله عليه وسلم: « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ

﴿مِن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. فإلى الله المشتكى، مات أبو يحيى والحاجة إلى مثله تتنامى، إي والله، فكم شد من أزري في سلسلة تحذير الداعية مدافعًا عن السنة رادعًا لأهل البدعة، لا يخاف في نشر الحق لومة لائم، ومواقفه في هذا الشأن لا تُحصى، يعلمها رئيس التحرير حفظه الله، وعلى سبيل المثال لا الحصر عندما انتشرت بدعة التعامل مع الجان واشتهرت وانتشرت، واغتر الناس بها؛ وجاء مروجوها بقصص واهية ليلبسوا البدعة ثوب السنة، فقال أبو يحيى رحمه الله: لا بد وأن تبين حقيقة هذه القصة حتى يفرّق الناس بين هذه البدعة - بدعة التعامل مع الجان - وبين الرقى الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، وفيها يلجأ الناس إلى الله متعلقة قلوبهم بالله عز وجل لا بالأشخاص أصحاب بدعة التعامل مع الجان.

فدحضنا حججهم التي استمدوها من هذه القصص الواهية، وكشفنا عارها، وبينا عوارها في سلسلة تحذير الداعية كما هو مبين برقم (٤)، (٥٥)، (٦١)، (٩٨)، وهذا الرقم الأخير حول قصة اغتر بها الكثير من طلبة العلم لوجودها في بعض كتب العقيدة المشهورة، فالله أسأل أن يجعله لأبي يحيى من العلم الذي به ينتفع، إذا ما العمل انقطع، فبه تحيى السنة وتنتشر، وتموت البدعة وتندحر.

ثالثًا: مناسبة الحديث الأول في هذا العدد لموت أبي يحيى رحمه الله:

الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله أورد هذا الحديث في «تفسيره» للآية (١٦٩ - آل عمران)، ثم ختمه بدعاء نسأل الله أن يحققه لأبي يحيى، حيث قال الإمام الحافظ:

قد روينا في مسند الإمام أحمد حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضًا فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة... ثم قال:

«وفي هذا الحديث إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة». وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان». اهـ.

ونحن نسأل الله الكريم المنان أن يجعل لأبي يحيى نصيبًا من هذه الدعوة لينال هذه البشارة.

رابعًا: مناسبة الحديث الثاني لموت أبي يحيى رحمه الله:

تستبين هذه المناسبة بما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح(١٩١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله شهيدٌ. قال: «إن شهداء أمتي إذن لقليل». قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ ثم بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم الأسباب التي بها يسمى المسلم شهيدًا، ولقد مات أبو يحيى في سبب من أسباب الشهادة التي بيناها في الحديث الثاني.

فنسأل الله الكريم المنان أن يبلغه منازل الشهداء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التوحيد

مات الشيخ..

وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدر



إعداد: جمال سعد حاتم

- أبا يحيى تقبلك الله في الصالحين — د. عبدالله شاكر
- وداعا أبا يحيى — د. حمدي طه
- ورحل الوالد المعلم — معاوية هيكل

ملف خاص

أبا يحيى .. تقبلك الله في الصالحين

بقلم/ د. عبد الله شاكر

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً، والصلاة والسلام على من قال الله له في كتابه: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ» [الأنبياء: ٣٤].

فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، في يوم الأحد الموافق ١٤٣٣/٧/١٣هـ انتقل إلى جوار ربه ومولاه أخونا الصديق الحبيب المعلم المربي، صاحبنا في الله أبو يحيى «زكريا حسيني»، رحمه الله.

وهكذا تتجدد أحزاننا بفقد أحبتنا وشيوخنا، ولقد دمعت عليه العين، وحزن القلب، ولم أقل إلا ما يرضي الرب: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا، واخلفنا خيرًا منها».

ولقد عرفت الشيخ منذ خمسة وثلاثين عامًا، ورأيته محبًا للعلم، حريصًا عليه، قريبًا من إخوانه، معظمًا للتوحيد والسنة غيورًا عليهما، داعيًا إليهما بعلم وفقه وبصيرة، وقد حباه الله تعالى بخلق كريم وسَمْت حسن، وكانت آراؤه مسددة، وكلماته موفقة، ومواقفه منضبطة، ولقد تعلمت منه الكثير أثناء إقامتنا في المدينة النبوية، وكان هو أستاذًا وكنت طالبًا، وكنت أزوره كثيرًا في بيته ويبالغ في إكرامي وغيري من ضيوفه.

كما كان يتفضل عليَّ ويزورني في بيتي، ولقد لمست فيه حرصه الشديد على تربية أبنائه تربية صالحة، وقد وُفق في هذا كثيرًا - أسأل الله أن يبارك له في عقبه -.

وقد اهتم الشيخ - كما عرفته - بالدعوة والعلم، وأفنى زهرة شبابه إلى وفاته في ذلك، فكان يتنقل بين القرى والأمصار داعيًا ومعلمًا ومربيًا، وكم استفاد الناس من مقالاته التي كتبها في مجلة التوحيد، وكان على رأس الساعين إلى إيجاد معاهد للدعاة ذات صبغة علمية منهجية، وظل يتابع هذا الأمر، حتى حصل على موافقة وزير الأوقاف بهذه المعاهد التي انتشرت في أنصار السنة بمصر، واستفاد من مناهجها خلق كثير خارجها، وكان هو المسئول الأول عن هذه المعاهد، حيث تولى إدارتها والإشراف عليها.

وفي العام الماضي أسند إخوانه إليه أعظم مهمة تقوم بها أنصار السنة وهي الدعوة إلى الله، وأصبح مديرًا لإدارة الدعوة والإعلام، وقد خطا بها خطوات، وكان يعمل بجد ونشاط يفوق غيره من الشباب، ومما يؤكد ذلك أنه وهو في مرضه أرسل استبيانًا إلى الفروع يطلب بعض المعلومات ليبني عليها خططًا جديدة في الدعوة، وقد طلب ذلك وهو يعاني من شدة المرض، ورغب أن يتسلمه في يوم الجمعية العمومية المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٨م، ولم يحضرها لمرضه - رحمه الله -.

ولقد ابتُلي ببعض الأمراض فصبر واحتسب، وقد زرته ومعي ولدي محمد في منزله الكائن ببلبيس قبل دخوله المستشفى بيوم واحد، وسمعته يحمد الله على ما هو فيه، ويثني على ربه، ويشكره على فضله.

وإني - والله - لأرجو له الخير والجنة والعفو والمغفرة والدرجات العلا، وأن يشمله قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وقدمني ابنه «يحيى» للصلاة عليه - وفي القوم من هو أفضل مني - فاستجبت لطلبه، وبكيت ودعوته له صادقًا مخلصًا، وكنت من أول الواقفين المستغفرين له عند لحده، أسأل الله أن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم، كما أسأله سبحانه أن يرزق زوجه وأولاده وجميع أهله الصبر على فراقه، وأن يجمعهم به في مستقر رحمته.

اللهم اغفر لعبدك زكريا وتقبله في الصالحين، وإني هنا أشكر جميع من حضر وشارك في العزاء، كما أشكر المواسين لنا في الداخل والخارج، وأقول للجميع: أحسن الله عزاءكم، وشكر سعيكم، وغفر لنا ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ربح البيع أبا يحيى!

بقلم/

د. عبد العظيم بدوي

المشرف العام

الحمد لله المتفرد بالبقاء والدوام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وبعد:

فقد فوجئنا ظُهرَ الأحَد ١٣ رجب ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١٢/٦/٣م بخَبرِ وَفاة أخينا الحَبيب، حامِلِ رايَة القُرآن، فَضيلَة الشَّيخ أبي يَحْيى زَكريَّا الحُسيني -رحمه الله- إثْر عَمليَة جراحيَّة أُجريَتْ لَهُ، نَسْأَلُ الله أنْ يَكتُبَ لَهُ الأَجْرَ والثَّوابَ.

رَحَلَ الشَّيخُ عَنْ دُنْيانَا وَتَرَكَ ثَغْرَةً، نَسْأَلُ الله أنْ يُهيِّئَ لَهَا مَنْ يَسُدُّهَا. ونَحن نُبشِّرُ أهْلَهُ وأحْبابَهُ بمَا لَهُ عِنْدَ الله، ليَكُونَ في ذلكَ عزاءٌ لَهُمْ، ويَكُونَ دافعًا لكُلِّ مَنْ يَقرَؤُهُ ليَجْتهِدَ في نَيْلِ ما نَرجُو أنْ يكُونَ الشَّيخُ قَدْ نالَهُ.

فَنَقُولُ وبالله تَعالَى التَّوْفِيقُ:

إنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ هُوَ حَبْلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ النُّورُ المُبِينُ، وَهُوَ الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ بِهِ، وَنَجاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، «كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» [هود: ١].

وَلَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ. وَقَدْ شَهِدَ اللهُ تَعالَى لِقُرَّاءِ القُرْآنِ بِالإِيمانِ فَقالَ تَعالَى: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» [البقرة: ١٢١].

حياة الشيخ مع القرآن:

وَلَقَدْ عاشَ الشَّيْخُ -رحمه الله- مَعَ القُرْآنِ، يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، فنحسبه ولا نزكيه على الله، فنسأل الله أن يكتب له به أجرًا، وأن يحط عنه وزرًا، وأن يجعله عنده له ذخرًا، وأنْ يُؤْتِيَهُ مَا وَعَدَهُ، وَأنْ يَزِيدَهُ مِنْ فَضْلِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: «لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٣٠].

جهود الشيخ في تحفيظ القرآن الكريم:

والشَّيْخُ -رحمه الله- كانَ مِنَ الحُفَّاظِ المُتْقِنِينَ، نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ، واللهُ حَسِيبُهُ، فَنَرْجُو إِذَا قَرَأَ يَوْمَ القِيامَةِ ألا يَقِفَ حَتَّى يَخْتِمَ، كَمَا كَانَ يَخْتِمُ فِي الدُّنْيا، فتكونَ مَنْزِلَتُهُ فِي أَعْلَى دَرَجاتِ الجَنَّةِ، بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَلَقَدْ عاشَ الشَّيْخُ لِلقُرْآنِ مُعَلِّمًا بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَهُ، وَبَذَلَ فِي تَعَلُّمِهِ جُهْدَهُ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِأَنْ يُجازَ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ فِي قِراءَةِ حَفْصٍ وَحْدَهَا، بَلْ جَدَّ وَاجْتَهَدَ حَتَّى أَتْقَنَ القِراءَاتِ العَشْرِ، وَأُجِيزَ فِيهَا، ثُمَّ انْشَغَلَ بِتَعْلِيمِ القُرْآنِ، وَأَوْلَى فِلذَةَ كَبِدِهِ، وَثَمَرَةَ فُؤادِهِ، وَهُمْ أَوْلادُهُ الذُّكُورُ الثَّمانِيَةُ، أَوْلاهُمْ رِعايَتَهُ، وَبَذَلَ لَهُمْ جُهْدَهُ، حَتَّى خَتَمُوا أَجْمَعُونَ، فَهُمْ-إِنْ شاءَ اللهُ- فِي صَحِيفَةِ حَسَنَاتِه، هُمْ وَمَنْ عَلَّمُوهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» [أخرجه البخاري وغيره].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قالَ: «هُمْ أَهْلُ القُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ» [أخرجه ابن ماجه ٢١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٦١].

فالشَّيْخُ إِذَنْ مِنْ أَهْلِ اللهِ، العَارِفِينَ بِهِ، النَّاصِحِينَ للهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ. وَكَانَ -رحمه الله- حَرِيصًا عَلَى الجَمْعِيَّةِ وَدَعْوَتِهَا، وَسَلامَةِ مَنْهَجِهَا. فَهَنِيئًا لَهُ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نقول: «ربح البيع أبا يحيى»، وإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

اللَّهُمَّ أْجُرْنَا فِي مُصِيبَتِنَا وَاخْلُفْ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي يَحْيَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي أَهْلِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ. اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ، وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ.

مات الشيخ.. وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

إعداد/ رئيس التحرير

مات الوالد وتركني وحيدًا، مات الحنون، رفيق الدرب، كنت أوصيه بأولادي في رحلات العلاج والتداوي، مات الشيخ الخلوق، صاحب القلب الطيب، فاللهم أجرنا في مصيبتنا، واخلفنا خيرًا منها، والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراق أئمتنا وعلمائنا لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

مات الوالد في أول الأيام البيض من رجب، سبحان الملك الوهاب يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وكأنني كنت على موعد لرحيل الأحبة، ففي يوم الجمعة الموافق ١٣ رجب ١٤٢٢هـ فقدت الأب الحنون، والشيخ الجليل فضيلة الشيخ صفوت نور الدين، رحمه الله رحمة واسعة، وصلينا عليه صلاة الجنازة بعد المغرب في المسجد الحرام بمكة المشرفة، وفي ١٣ رجب ١٤٣٣هـ يلحق به الشيخ الحبيب وصلي عليه بعد المغرب في مسجد التوحيد ببلبيس.

إنها إرادة الله، كنت أوصيه بأن يصلي عليَّ عندما كانت تشتد بي آلام المرض، وكانت كلماته التي تخرج من فيه بلسمًا شافيًا، أدعو الله العلي القدير أن يلحقني به في أعلى عليين، وفي الفردوس الأعلى، آمين آمين.

مات الوالد رحمه الله، ونسأل المولى القدير أن يرزق زوجه وأولاده وأهله وتلامذته وطلابه الصبر على فقده، وأن يجعلهم خير خلف لخير سلف، فلا يُنسى من دعوة صالحة أو صدقة جارية، وإنه والله كان والدًا لكل شباب الدعوة إلى الله؛ إليه يرجعون، وبأقواله ينتصحون، وبتوجيهاته يأتمرون، فرحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى مع سيد الدعاة وإمام الأنبياء محمدًا عليه الصلاة والتسليم.

إن الخطب جلل، والمصاب عظيم، ولكن لنا الأسوة في سلفنا الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، صبروا على مصيبة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم على موت الخلفاء من بعده.

حقيق على من عَرف أن الموت مورده والقيامة موعده، والوقوف بيْن يدي الجبار مشهده أن تطول في الدنيا حسرته، وفي العمل الصالح رغبته، « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ » [لقمان: ٣٣]. فاحذروا الاشتغال بالدنيا الفانية.

هل ينتظر أهل غضاضة الشباب إلاَّ الهرَم، وهل بضاعة الصحة إلاَّ السقَم، وهل طول البقاء إلاّ مفاجأة الفناء واقتراب الفَوْت، ونزول الموت، وأزف الانتقال، وإشغال الزوال، وعرق الجبين، وعظم القلق، وقبض الرمق؟!

يا ساكن اللحد غدًا أين الوالدون وما ولدوا، وأين الجبارون، وأين ما قصدوا، وأين أرباب المعاصي على ماذا وردوا؟! أما جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا، أما قدموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا، أما خلوا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا.

وإني أحسبك والله أيها الوالد شهيدًا، فقد كانت الدعوة إلى الله تعالى هي حياتك.. والتقرُّب إلى الله بغيتك، وقد فاضت روحك وأنت تجاهد منْ أجل نشر دعوة التوحيد!!

فاللهم ارحم شيخنا رحمة واسعة، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خير من أهله، واجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

إن القلب ليحزن

بقلم/ أسامة سليمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن التسليم لقضاء الله والرضا به من صفات أهل الإيمان، يقول سبحانه: « وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ » [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

وإن المصيبة مهما عظمت فإن مصيبة موت سيد البشر صلى الله عليه وسلم لهي أعظم المصائب بالنسبة للمسلم، وفراق الأحبة في هذه الدنيا الفانية نذير من رب العالمين للأحياء على دنو الموت.

وفي الأيام الماضية فقدنا أخانا الكريم وشيخنا الجليل فضيلة الشيخ العابد الزاهد: زكريا حسيني، أبا يحيى، الذي تعلمنا منه الخُلُق والسمت قبل العلم، الذي كان محبًا لإخوانه محافظًا على منهج أهل السنة والجماعة، نابذًا لمنهج المبتدعة والفرق الضالة، فرحمه الله رحمة واسعة، وباعد بينه وبين خطاياه كما باعد بين المشرق والمغرب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ورحل الوالد المعلم

بقلم/ معاوية محمد هيكل

ففي زمان قبض العلماء وذهاب الأخيار والفضلاء فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية عَلمًا بارزًا من أعلامها، ورمزًا من رموزها، سخَّر حياته، وقلمه، ولسانه لدعوة التوحيد، حتى أتاه اليقين من ربه.

عرفت الشيخ زكريا - رحمه الله - والدًا وعالمًا ومربيًا، عرفته عالمًا يعظِّم الدليل، مقدمًا إياه على آراء الرجال مهما علت رتبتهم، وقد شاهدت مواقف عديدة في هذا الشأن من شيخنا رحمه الله، وقد كان يردد دائمًا مقولة السابقين: «كل يُؤخذ منه ويُرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم». وكان يتمثل دائمًا قول ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «شيخ الإسلام حبيبٌ إلينا، والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام».

وكان لعلماء السلف من الصحابة ومن سار على نهجهم منزلة عظيمة ومكانة عالية في قلب شيخنا، فكتب -رحمه الله رحمة واسعة- عن الصحابة الكرام سلسلة مقالات في مجلة التوحيد، مدافعًا عنهم ومنافحًا، يرد شبهات المغرضين، ويدحض ضلالات المبتدعين، غير مبال بإرجاف المرجفين، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في المهديين.

وكذلك كان حاله مع علماء الأمة المعاصرين، أمثال الشيخ ابن باز، والألباني، وعبد الرزاق عفيفي، وابن عثيمين، رحمهم الله، وغيرهم مما يفوق الحصر، فكان يذكرهم بكل جميل وإحسان، ويجلّهم ويقدرهم، فكان يذكر طرفًا من كلماتهم، وأخلاقهم، وعلمهم، ونحن ذات مرة على مائدة التوحيد باللجنة العلمية نراجع المجلة الغراء، راح يذكر ذات مرة لنا طرفًا من مناقب الشيخ ابن باز وفضائله، وينساب في الحديث عن أخلاقه، وإحسانه وعطفه على الناس عامة، وطلبة العلم خاصة، فكان كلما يذكر موقفًا من مواقف الشيخ النبيلة وما أكثرها، ينهمر الدمع هطالًا من عينيه، حزنًا على فقد الأمة لعلمائها ورموزها.

ونحن والله لتنهمر دموعنا اليوم حزنًا عليه، وألمًا لفراقه.

كما عرفته والدًا كريمًا ودودًا رحيمًا رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، يستشعر الزائر إلى مجلة التوحيد وهو معنا بالدفء والرحمة والحنان؛ كوالد بين أبنائه، يوجِّه وينصح، يسهر معنا الليالي من أجل أن تخرج مجلة التوحيد في أجمل صورة، وأبهى حلة.

وإذا أردت أن تتعرف على أثر علمه ومنزلته عند طلاب العلم فاذهب إلى فروع الجماعة، وخاصة بين أبنائه وطلابه، الذين هم ثمار غرسه بقلعة التوحيد والسنة ومنارة الهدى والنور بمدينة بلبيس، عندئذ سترى بستانًا يانعًا من العلم تقطف من أزاهيره وتجني من ثماره وتستظل بوارف ظلاله.

وفي الختام أقول لأبناء الشيخ وطلابه: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده لأجل مسمى، فلتصبروا ولتحتسبوا يا دعاة التوحيد ويا حماة السنة، ورحم الله شيخنا رحمة واسعة، ونوّر له بالإيمان قبره، وأفسح له فيه مد بصره، وعوضنا خيرًا عن فقده، وبارك الله عز وجل في عقبه، وجعلهم امتدادًا مباركًا له بإذن الله عز وجل.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

رحمك الله يا شيخنا

أحمد صلاح رضوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعدُ:

فهذه زفرات مهموم، وأنات مكلوم، وحشرجات أنفاس مصدور، على فراق شيخنا ووالدنا فضيلة الشيخ الإمام، حسنة الأيام: زكريا حسيني، رحمه الله.

فقد كان الشيخ رحمه الله من العلماء الفضلاء الذين حفظ الله بهم الدين ونصر بهم السنة، فكان شوكة في حلوق المبتدعة، الذين يريدونها عوجًا، لا سيما وهو صاحب باب السنة في مجلة التوحيد الغراء، وقلمه يُخبر عنه.

مات الشيخ رحمه الله والأمة أحوج ما تكون إلى مثله، في زمان كثرت فيه الفتن، وزادت فيه غربة الدين، وندر فيه المستمسكون بالسنة.كان الشيخ لنا نبراسًا على الدرب، ما حرمنا منه الفائدة أبدًا، بل ما شعرت باليُتم حقًا إلا يوم وفاته، فقد كان بيني وبينه أبوة علمية. كان الشيخ رحمه الله لا يحب الشهرة، ولا يطمح لدنيا، فما سلَّ عزمه وما كسرت شوكته، عفيف النفس، طيب الطوية، حسن الخلق، ولا ينكر شذا خُلقه إلا مذكوم، تعلمنا من لحظه قبل وعظه، ومن سمته قبل علمه، فقد كان رحمه الله على مُحياه نُضرة السنة، وخُلق القرآن، أحسبه كذلك والله حسيبه.

وكان في آخر كلماتي له - رحمه الله -: تقوىً يا شيخنا ولا تشمت بنا الأعداء، فمرض أمثالكم يفرح به أهل البدع، كما كان السلف يقولون، ثم دعا لي بالبركة، حتى فجعت الأمة كلها بموته رحمه الله، وسقط حصن، وانفتح ثغر، قد كفانا الله مؤنته طيلة حياته، رحمه الله.

فرحمك الله يا شيخنا، وجبر الله مصابنا فيك، وعوضنا خيرًا. آمين.

ترجمة الشيخ الوالد زكريا حسيني محمد رحمه الله

إعداد / جمال سعد حاتم
وأبناء الشيخ رحمه الله

اسمه: هو الشيخ زكريا حسيني محمد السيد منصور.
مولده: وُلد في قرية العباسة (مركز أبي حماد، محافظة الشرقية) في ١٥/١٢/١٩٤٦م الموافق ٢١/١/١٣٦٦هـ.

حياته التعليمية:

ألحقه والده بالكُتَّاب في بلدته، فتعلم فيه الحروف كتابةً على اللوح، وحفظ بعض القرآن، ثم أُلحق بجمعية المحافظة على القرآن الكريم في بلبيس حتى أتم حفظ القرآن الكريم.

ومع حفظه القرآن في الجمعية ؛ درس منهج المرحلة الابتدائية في الجمعية نفسها، وتخرج فيها عام ١٩٦١م الموافق عام ١٣٨١هـ وكان ترتيبه الثاني.

ثم التحق بعد ذلك بمعهد بلبيس الإعدادي الأزهري؛ حيث حصل على الشهادة الإعدادية عام ١٩٦٦م الموافق ١٣٨٦هـ.

ثم التحق بمعهد الزقازيق الثانوي الأزهري وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٦٩م الموافق ١٣٨٩هـ.

ثم التحق بكلية التربية بجامعة الأزهر شعبة الدراسات الإسلامية، وتخرج فيها عام ١٩٧٤م الموافق ١٣٩٤هـ.

حياته الوظيفية:

عُيِّن بعد تخرجه بشهر واحد مدرسًا بالمعاهد الأزهرية، وتحديدًا في معهد بورسعيد الإعدادي الثانوي، وظل فيه عامًا كاملا؛ ثم انتقل إلى معهد بلبيس الإعدادي الثانوي، وظل به حتى عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م.

وفي عام ١٣٩٨هـ تعاقد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ للتدريس في المعهد المتوسط وشعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها في مجال تدريس اللغة العربية، والإشراف والتوجيه على تدريس العلوم الشرعية، والمشاركة في لجنة وضع المناهج ولجنة تصنيف الطلاب الجدد من عام ١٩٧٨م-١٩٩٤م، وقد تخرج على يديه العديد من الطلبة الأعاجم من مختلف البلدان الإسلامية.

انتقل بعد ذلك لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة ؛ حيث عمل في الإشراف والتوجيه على حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، والإشراف على الدورات التدريبية والتربوية للمحفظين بالجمعية من ١٩٩٤م-٢٠٠١م، وقد كانت له جهود ملموسة في الجمعية ؛ حيث أحدث طفرة فريدة في مستوى التحفيظ بالجمعية، وقاد الجمعية للصدارة بين مثيلاتها على مستوى المملكة العربية السعودية، حيث تميزت بكثرة الخريجين من الحفاظ الذين تألقوا في المسابقات المحلية والدولية، بل وصار منهم إمامٌ للحرم المدني ثم المكي وهو الشيخ عبد الله بن عواد الجهني.

حياته الدعوية:

عمل في مجال الدعوة إلى الله من خلال مساجد جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر من خلال المحاضرات والأسابيع الثقافية وخطب الجمعة وحضور الندوات.

تولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع بلبيس- بعد وفاة سماحة الشيخ محمد صفوت نور الدين عام ٢٠٠٢م، وكانت له جهود ملموسة في هذا الفرع في مجال تحفيظ القرآن الكريم للرجال والنساء؛ حيث تخرج على يديه عدد من الحافظين والحافظات في مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي أنشأها الشيخ وأشرف عليها طيلة حياته، وصار منهم أئمة للمساجد ومحفظون للقرآن الكريم، وكذلك جهوده في تخريج الدعاة من خلال معهد إعداد الدعاة ؛ بحيث صار فرع بلبيس يرسل خطباء من الفرع إلى فروع أخرى داخل محافظة الشرقية وخارجها.

تولى إدارة شئون القرآن الكريم بجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام، ثم تولى إدارة معاهد إعداد الدعاة بالجمعية، ثم تولى إدارة الدعوة والإعلام بالجمعية.

عمل باللجنة العلمية لمجلة التوحيد، حتى صار رئيسًا لها، وقد كان يراجع المجلة كل شهر مراجعة لغوية وعلمية؛ يقضي في ذلك ساعات طوالا ويسهر من أجل ذلك ليالي متتابعة؛ لكي تخرج المجلة في أفضل مستوى يستفيد منه القراء.

كان عضوًا بلجنة الفتوى بجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام.

درَّس المواد الشرعية والدعوية واللغة العربية بمعاهد إعداد الدعاة بمصر من عام ٢٠٠١م حتى عام ٢٠١٢م.

وكان هناك العديد من الطلبة يقرءون عليه في آخر حياته ولم يكملوا، إضافةً إلى مجلس لدراسة كتاب المغني في الفقه كان يَحْضُرُهُ العديد من طلبة العلم والدعاة في منزله.

شارك في مؤتمر حوار الأديان الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ٢٠٠٨م وتحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز.

شارك في المؤتمر الرابع لأنصار السنة المحمدية بدولة السودان، وذلك في شهر يناير من عام ٢٠١٢م بدعوة من الجماعة هناك.

تولى رئاسة مجلس علماء ودعاة الشرقية والذي أُنشئ

عام ٢٠١١م.
شارك في أنشطة دعوية ودورات علمية في دولتي الكويت والإمارات العربية المتحدة.

أولاده:

له من الولد تسعة؛ ثمانية أبناء وابنة واحدة، سبعة منهم يحفظون القرآن كاملاً، وأربعة منهم أئمة وخطباء، وقد كان له أثر واضح في حفظهم للقرآن الكريم، وتعلمهم لعلوم الشريعة وغيرها.

صفاته وأخلاقه:

امتاز رحمه الله بحُسن الخلق، ولين الجانب، والتواضع، والحلم، والأناة، والعفو والصفح عمن أساء إليه، والشجاعة المعهودة في الحق، وكان حكيمًا في أقواله وأفعاله، شديد البر بوالديه رحمهما الله، متلطفاً مع مخالفيه في المنهج، وقد وضع الله له القبول في قلوب العباد، فما رآه أحد إلا أحبه وشعر بقربه منه، يفيض بحنان الأبوة وعطف الأخوة على كل من حوله، ويحب الخير لكل أحد، ويقدم النصيحة لمن حوله، كان يرفض الظهور في وسائل الإعلام على الرغم من كثرة إلحاح الناس عليه وطلبهم له، لكنه كان يفضل أن يجعل وقته كله لمعاهد إعداد الدعاة، وللدروس المنهجية التي تُخرِّج طلبة علم ودعاة يقومون بواجبهم تجاه أمتهم، وينهضون بالدعوة إلى الله، ويكملون مسيرة العلماء الذين كان لهم دور بارز في نشر المنهج السلفي وعقيدة أهل السنة والجماعة.

وكان -رحمه الله- لا يدخر جهداً في سبيل نشر العقيدة الصحيحة والمنهج السلفي الصحيح، وكان يحرص على تلبية الدعوة للدروس والمحاضرات والخطب في مختلف المحافظات من شمال مصر إلى جنوبها، ولا يتخلف إلا لضرورة، ويتكبد مشقة السفر مع مرضه محتسبًا تلك الخطوات عند ربه.

شيوخه:

تتلمذ في مراحله الأولى على:
الشيخ محمد مصطفى عساف والشيخ عبد الحليم علي والشيخ منصور حسن شتات والشيخ محمد الأنجباوي والشيخ سليمان البس، وهو الذي أتم عليه حفظ القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية والشيخ عطوة أبو غيدة، مدير جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

ثم تتلمذ خلال دراسته الأكاديمية بجامعة الأزهر على كوكبة من العلماء والأساتذة، ومن أشهرهم:-الشيخ الدكتور/ عبد الحليم محمود. شيخ الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف الأسبق والشيخ الدكتور/عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمود بن الشريف والشيخ الدكتور/عبد الوهاب فايد والشيخ/ محمد الغزالي رحمه الله.

ثم في فترة مكثه في المدينة المنورة تتلمذ على مشايخ القرآن والقراءات بالمدينة وكان من أبرزهم: الشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي "صاحب كتاب هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، وعضو لجنة مراجعة المصحف بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمدرس بالجامعة الإسلامية والشيخ عبد الحكيم عبد السلام خاطر "عضو لجنة مراجعة المصحف بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف"، وأجازه الشيخ بها، ثم شرع في قراءة القرآن الكريم بالقراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر حتى وصل إلى قوله تعالى: « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » [الآية ٢٧ من سورة إبراهيم]، ثم توقف بعد ذلك لعودته إلى مصر، لكن الشيخ أحمد ما لبث أن أجازه فيها؛ لما رأى من إتقانه وحرصه واجتهاده.

كما تتلمذ على بعض علماء المدينة في الحرم النبوي ومن هؤلاء: الشيخ عبد المحسن العباد "حفظه الله" رئيس الجامعة الإسلامية الأسبق والشيخ صالح العبود "حفظه الله" رئيس الجامعة الإسلامية السابق.

كما كان يحضر دروس بعض المشايخ في الحرم أيضا مثل: الشيخ عمر فلاتة "رحمه الله " والشيخ عطية سالم "رحمه الله" والشيخ أبو بكر الجزائري "حفظه الله"، وكذلك دروس الشيخ محمد بن صالح العثيمين "رحمه الله" التي كان يلقيها بالمدينة على فترات.

تلاميذه:

تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم داخل مصر وخارجها ؛ حيث تلقوا عنه العلوم الشرعية، واللغة العربية، والقراءات.

مؤلفاته وكتاباته:

١- كتاب الفقه في العبادات، ألفه لطلاب المستوى الثالث في شعبة اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.
٢- كتاب مختارات من التفسير، للمستوى الرابع بالشعبة أيضًا، بالاشتراك مع الأستاذ عبد الرحمن بن محمد المختار، المدرس بالشعبة آنذاك.
٣- تولى إعداد مقال (باب السنة) بمجلة التوحيد، وذلك بعد وفاة الشيخ محمد صفوت نور الدين من عام ٢٠٠٢م حتى عام ٢٠١٢م.

وفاته:

في يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب المحرم عام ١٤٣٣هـ، الموافق للثالث من شهر يونيو عام ٢٠١٢م وفي العاشرة والنصف صباحًا فاضت روحه إلى باريها، بعد صراع مع المرض، أجرى على إثره عملية جراحية بالمركز الطبي العالمي.
نسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يتجاوز عنه، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، وأن يجعل ما قدمه في ميزان حسناته، وأن يعوض الأمة خيراً في فقده.

وداعًا أبا يحيى

بقلم/ د. حمدي طه

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وآه وصحبه، وبعد:

فقد ساءنا نبأ وفاة شيخنا ووالدنا الفاضل فضيلة الشيخ زكريا حسيني رحمه الله، وبموته فقدنا علمًا من أعلام أنصار السنة ولا أبالغ إن قلت علمًا من أعلام الدعوة في هذا العصر مع عزوفه عن الشهرة، وقد شرفت بالعمل تحت قيادته بمعهد إعداد الدعاة بالمركز العام وباللجنة العلمية لمجلة التوحيد، وقد كنت أجلس معه الساعات الطوال في مراجعة المجلة تعلمت فيها الكثير من فضيلته، فكان الأب الحنون لنا جميعًا والمرجع فيما يشكل علينا من مسائل، وكان إذا سكت أعجبك صمته وإذا تكلم نطق بالحكمة، وقد كان رحمه الله شديد التمسك بالسنة ثابت على الحق لا يماري ولا يداهن، وقد تعلمنا منه كيف نعف ألسنتنا عن المخالفين في المنهج مع بيان الحق، وقد كان رحمه الله شديد التواضع ويحترم التخصص، فكان إذا عُرض عليه سؤال في الفقه أحاله عليَّ، بل أحيانا يسألني فضيلته في بعض المسائل وهو أعلا مني علمًا وقدرًا!! وقد فقدنا بموته أبًا وشيخًا ومربيًا نسأل الله أن يجعله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأسوق في هذه العجالة بعض البشريات لنفسي ولإخواني وأهله، لعل في ذلك سلوى لنا عن فقدنا لشيخنا الجليل رحمه الله.

- اتصال العمل:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]، ونحسب أن الثلاث خصال قد حازها الشيخ رحمه الله.

- تكفير الذنوب ورفع الدرجات:

في الحديث: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

ولعل ما ألم بالشيخ من مرض عانى منه كثيرًا على مدار سنوات، وبخاصة في الأشهر الأخيرة من حياته، أن يكون مكفرًا لذنوبه جميعًا ورفعه لدرجاته عند الله تعالى.

- الشهادة:

جاء في الحديث: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» [رواه البخاري].

ونحسب أن الشيخ قد حاز هذه الفضيلة؛ لأنه مات من مرض البطن. وهناك الكثير والكثير من بشريات أهل الإيمان لا يسع هذا المقام لذكرها، نسأل الله عز وجل أن يرحم شيخنا رحمة واسعة، وأن يجزل له الثواب على ما قدمه لخدمة دينه، وأن يرفع في الجنة درجاته، ويجعله في أعلا عليين، فهو نعم المولى ونعم النصير.

في رعاية الله أب...

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان، والصلاة والسلام على من تشرف ببعثته ودعوته الثقلان، حتى دخل في دينه أفواج الإنس والجان، فسبح بحمد ربه وانتقل إلى أعلى درجات الجنان، سيدنا محمد سيد ولد عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى من اتبعوه بإحسان.

وبعد.. أكتب هذه الكلمات عن شيخي الشيخ الراحل أبي يحيى - زكريا حسيني، وأنا يملؤني الأسى والحزن والانكسار، وقد فقدت أبًا وأخًا وشيخًا ورفيقًا وأنيسًا. كنا إذا جلسنا تعارفت أرواحنا وائتلفت حتى صارت روحًا واحدة في جسدين، توافق واتفاق، لا نفور ولا شقاق، يسرني ما يسره، ويضرني ما يضره، ولذلك فلوعتي عليه، وحسرتي على رحيله، لها مرارة في القلب وغصة في الحلق.

وقد سافرت إلى السعودية قبل رحيله بيومين، ولم أكن أعلم أنه سيسافر السفر الطويل، فكل ذي غيبة يئوب، وغائب الموت لا يئوب، ولولا الملامة ما عزيت أحدًا من أهله؛ لأني من أهله، وبحاجة إلى من يعزيني، ويخفف عني ويواسيني.

أبا يحيى فلَنْ أنساكَ حتى
أكمِّلَ ما رَجَوْتَ غدي وَأمْسي
ولولا أنَّ جُلَّ الناسِ حولي
يُصَبِّرونَنِي لكرهتُ نَفْسي

وإلى إخواني ومحبيه أسوق شيئًا من:

مناقبه وشمائله وفضائله:

أولاً: زهده وكراهيته للشهرة:

كان رحمه الله داعية إلى الله تعالى متفرغًا لذلك مع مصارعة المرض له، محتسباً لا يبتغي في ذلك الأجر إلا من الله تعالى، وكان لا يحب الشهرة والظهور، وقد ألح عليه الشيخ محمد حسان -حفظه الله تعالى- وكنا معه في المنصورة أن يشترك في حلقة على قناة الناس، قبل إنشاء قناة الرحمة،

...ـا يحيى

بقلم/ جمال عبد الرحمن

والشيخ يتعذَّر له. رحمه الله تعالى.

ثانيًا: جرأته في الحق:

كان رحمه الله لا يجاري أحدًا في رأيه إذا لم يكن مقتنعاً بما يقال، ويجهر بالحق لا يخاف في ذلك لومة لائم، في الوقت الذي كان لا يتكلم إلا إذا طُلب منه الكلام وإلا جلس صامتا، وكل القريبين منه يعلمون ذلك عنه.

ثالثًا: نبْذه للتعصب والتقليد:

سمعته مرة في مسجد الحمد بأبي كبير يقول للحاضرين: "نحن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ودليلنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع حبنا لمشايخنا في أنصار السنة المحمدية؛ هل سمعتمونا يومًا نقول: قال الشيخ فلان، أو رأى الشيخ فلان؟".

رابعاً: حبه للغة والقراءات:

كنا ونحن نراجع مجلة التوحيد إذا قابلتنا لفظة لغوية نعرفها، لكن تحتاج إلى مزيد تدقيق؛ قام واقفا قبل الجميع ويده على كتاب لسان العرب، حتى يحرر معاني الكلمة ومشتقاتها واستعمالاتها، وكان كلما تكلم بكلمة من القرآن ذكرها بالإمالة إن كان فيها، ووجوه القراءات، لا يمل من ذلك أبدا.

فإن كنا نحزن لفراقه فعزاؤنا أن يبدله الله تعالى مَن هم خير منا، فما عند الله -إن شاء الله- خير له مما عندنا.

قد ودَّعتَ الناس يا زكريا
والثوار وما سرَّ وساءْ
وتساميتَ مع الأملاكِ
وتسربلتَ بسربال البقاءْ

فأنت السابق يا حبيبي مع السابقين، وإنا إن شاء الله بك من اللاحقين.

فإلى أن نلقاك بإذن الله مع الرفيق الأعلى؛ أسأل الله تعالى أن يغفر لسابقينا، وأن يحسن الخلافة على باقينا، وفي رعاية الله وأمنه أبا يحيى.

إن العين لتدمع لفراقك أبا يحيى!!

بقلم/ أحمد يوسف

بسم الله المتفرد بالبقاء، والصلاة والسلام على من قال له ربه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» [الزمر: ٣٠]... وبعدُ:

فهذه سنة الله الماضية في الأنفس «كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ» [آل عمران: ١٨٥]، وأنا أكتب اليوم بمناسبة موت علَم من أعلام الدعوة إلى الله والمشهود له بالعلم والحلم، وهو الشيخ زكريا حسيني، رحمه الله.

فكم حاولت في حياة الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله كما حاول غيري أن يخرج الشيخ زكريا خطيبًا ومحاضرًا في فروع الجماعة على مستوى الجمهورية، غير أن الشيخ صفوت رحمه الله كان يقول: إنني أخرج وأطوف بالفروع معتمدًا بعد الله تعالى على ركن قوي في بلبيس يقوم على أمر الدعوة مربيًا ومعلمًا.

فرحم الله الشيخ زكريا من عالم جليل عرفته عن قرب، وسافرت معه في الداخل والخارج، ولكم سألته وتعلمت منه، (خاصة في مجال القراءات التي كان مبرزًا فيها)، ما لم أتعلم من غيره، فانعم به من شيخ قلما تجد مثله في علمه وخُلقه وحبه لإخوانه وحفظه للسانه وتوقيره للكبير ورحمته للصغير وسعة صدره واتساع أفقه.

وفي آخر لقاء لي به كان قد عزم على إجراء العملية الجراحية التي توفي متأثرًا بها لم يكن يشغله مرضه ولا ألمه أكثر ما يشغله أمر الدعوة، وهو يقول: «والله يا شيخ أحمد حبسي عن الدعوة والمسجد هو المؤثر فيَّ». ومع أزيز القلوب ودموع العيون لفراق الشيخ زكريا، إلا أن المرء يستبشر خيرًا بما رآه من حب الناس له وثنائهم عليه وتوافدهم من أماكن بعيدة لحضور جنازته، التي قلما يشهد المرء جنازة مثلها بهذا الحضور وهذا التأثر وهذه الدعوات، أسأل الله تعالى أن يتقبلها من الجميع.

نسأل الله تعالى أن يجعل شيخنا الشيخ زكريا مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

فقدنا علماً من أعلام السنة

يقول الشيخ رزق ساطور: فقدنا علمًا من أعلام السنة وصرحًا من صروح مجلة التوحيد عرفناه عن قرب، ووجدت فيه تواضع العلماء وسعة الصدر، ونور النصيحة وقوة الحجة وسرعة البديهة وعفة اللسان ونقاء السريرة، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقال حذيفة محمد رزق ساطور: رحم الله شيخنا ووالدنا الكريم، فوالله ما علمته إلا أبًا حنونا وشيخا عطوفًا، فقد كان متواضعًا تواضعًا شديدًا، وكان لا يحب الظهور ولا الشهرة، علمت وسمعت عنه ذلك وعندما شاهدته رحمه الله تأكد لي أكثر عندما رأيت مواقفه أمام عيني، فكان رجلا يندر أن نجد في زماننا مثله.

فرحم الله شيخنا أبا يحيى رحمة واسعة، وجعل ذريته خير خلف لخير سلف.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

طرق معرفة المقاصد

الحلقة (٤٠)

بقلم/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

ما يزال حديثنا متصلاً عن العنصر الثاني من طرق معرفة المقاصد، وهو: اعتبار علل الأمر والنهي، ورأينا أن الأحكام إما تعبدية أو معقولة المعنى، ثم انتقلنا إلى مسألة التحسين والتقبيح بالعقل بين أهل السنة من جانب، والمعتزلة والأشاعرة من جانب آخر.

وتوقفنا عند الإمام الرازي، ولماذا خصّه الشاطبي بأنه وحده المنكر للتعليل إنكارًا باتًا.

الإمام الرازي والتعليل

إن ما يعنينا في بحثنا هذا - التعليل الأصولي: وهو تعليل الأحكام الشرعية، وليس التعليل الفلسفي.

فهل الرازي ينكر القياس كمصدر من مصادر التشريع المتفق عليها عند الجمهور، والقياس أساسه وحجر زاويته التعليل، كما هو معلوم.

يقول الرازي: إن الله تعالى شرع الأحكام لمصلحة العباد.. وأنه تعالى حكيم بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلا لمصلحةٍ، فإن من يفعل لا لمصلحة يكون عابثًا، والعبث على الله تعالى محال، للنص والإجماع والمعقول، فثبت أن الله تعالى شرع الأحكام لمصالح العباد.

واستدل ببعض النصوص الدالة على أن مطلوب الشرع هو تحقيق مصالح الخلق ودفع المضار عنهم، من ذلك قوله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: «خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا» [البقرة: ٢٩]، وقوله: «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا» [الجاثية: ١٣]، وقوله: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج: ٧٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «بُعثت بالحنفية السمحة». [مسند أحمد وهو في السلسلة الصحيحة: ٢٩٢٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٣٤٠، ٢٣٤١].

ووصف نفسه بكونه رءوفًا رحيمًا، وقال: «وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ» [الأعراف: ١٥٦]. فلو شرع ما لا يكون للعبد منه مصلحة، لم يكن ذلك رأفة ورحمة. [انظر المحصول ٥/١٧٢- ١٧٥].

ثم قال الرازي: انعقد الإجماع على أن الشرائع مصالح، إما وجوبًا كما هو قول المعتزلة، أو تفضلاً كما هو قولنا. [السابق ٥/٢٨٨].

فالرازي - كما رأينا - من القائلين بالتعليل ومن المدافعين عنه، ويؤكد هذا ما أورده ابن القيم وهو يرد على منكري التعليل والقياس، فقال: «وقد اختلفت أجوبة الأصوليين بحسب أفهامهم ومعرفتهم بأسرار الشريعة، فأجاب ابن الخطيب (الرازي) بأن قال: غالب أحكام الشريعة معللة برعاية المصالح المعلومة، والخصم (أي منكر التعليل) إنما بيّن خلاف ذلك في صور قليلة جدًا، وورود الصورة النادرة على خلاف الغالب لا يقدح في حصول الظن». [إعلام الموقعين ٢/٤٣].

وهو يقصد هنا الظن الغالب الذي هو قريبًا من اليقين، وهو معمول به.

ابن حزم الظاهري وإنكار التعليل

أنكر ابن حزم الظاهري - رحمه الله - التعليل تمامًا، خصّص بابًا كاملاً في كتابه «الإحكام» بعنوان: «الباب التاسع والثلاثون في إبطال القول بالعلل في جميع أحكام الدين». قال فيه: «وقال أبو سليمان (داود الظاهري الإمام الأول للظاهرية)، وجميع أصحابه رضي الله عنهم: لا

يفعل الله شيئًا من الأحكام وغيرها لعلة أصلاً بوجه من الوجوه.. ثم قال: قال أبو محمد (ابن حزم) وهو ديننا الذي ندين الله تعالى به، وندعو عباد الله تعالى إليه، ونقطع على أنه الحق عند الله تعالى». [الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ٧٧/٨].

وقد بالغ ابن حزم وشنّع على من قال بالتعليل، فقال: «... إن القياس وتعليل الأحكام دين إبليس، وأنه مخالف لدين الله تعالى، نعم، ولرضاه، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القياس في الدين، ومن إثبات علة لشيء من الشريعة، وبالله تعالى التوفيق». [الإحكام ١١٣/٨].

وقد رد ابن القيم رحمه الله على من أنكر القياس ردًا شديدًا، إذ قال: «الآن حمي الوطيس، وحميت أنوف أنصار الله ورسوله لنصر دينه، وما بعث به رسوله، وآن لحزب الله أن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وألا ينجروا إلى فئة معينة، وأن ينصروا الله ورسوله بكل قول حق قاله من قاله». [إعلام الموقعين ٤٢/٢].

ويقول الجويني (إمام الحرمين): «الذي ذهب إليه ذوو التحقيق: أنَّا لا نعد منكري القياس من علماء الأمة، وحملة الشريعة، فإنهم مباهتون أولاً على عنادهم فيما ثبت استفاضة وتواترًا، ومن لم يزعه التواتر، ولم يحتفل بمخالفته، لم يوثق بقوله ومذهبه، فهؤلاء ملتحقون بالعوام، وكيف يدعون مجتهدين ولا اجتهاد عندهم». [البرهان للجويني ٣٧/٢].

والحق أن ابن حزم ينكر كثيرًا التعليل الفلسفي (بمعنى أن الشرائع شرعها الله تعالى لعلل أوجبت عليه أن يشرعها) الذي يقول به الفلاسفة والمعتزلة، وهذا أنكره أهل السنة، والمتكلمون من الأشاعرة، بل دأب علماء السنة إنكار هذا على الفلاسفة والمعتزلة، ولا يقولون بوجوب شيء على الله تعالى، ولكنهم يقولون برعاية المصالح من الله تفضلاً وإحسانًا، فمفهوم العلة الذي ينكره ابن حزم ينكره أيضًا أهل السنة، ولكن أهل السنة يقولون بالتعليل الأصولي الفقهي، وهذا قد يعترف ابن حزم بقدر منه، ولكنه لا يسميه علة ولا تعليلاً، وإنما يسميه «السبب» وهو يقرّ أن الشارع ربط بعض الأحكام بأسباب، فيقول: «ولسنا ننكر أن يكون الله تعالى جعل بعض الأشياء سببًا لبعض ما شرع من الشرائع، بل نقر بذلك ونثبته حيث جاء في النص، كقوله صلى الله عليه وسلم: «أعظم الناس جرمًا في الإسلام من سأل عن شيء لم يُحرم، فحُرِّم من أجل مسألته». [متفق عليه بنحوه].

وكما جعل تعالى كفر الكافر وموته كافرًا سببًا إلى خلوده في نار جهنم، والموت على الإيمان سببًا لدخول الجنة، وكما جعل السرقة بصفة ما سببًا للقطع، والقذف بصفة ما سببًا للجلد، والوطء بصفة ما للجلد والرجم (للمحصن).. [الإحكام لابن حزم ١٠٢/٨].

على أنه يحيط اعترافه بهذا النوع من السببية بين الأحكام وأسبابها، بجملة شروط، تجعل الفرق بينه وبين جمهور العلماء كبيرًا، وهي:

١- هذه الأسباب لا يجوز أن يقال بشيء منها إلا إذا جاء منصوصًا صراحة، فلا اجتهاد ولا استنباط في ذلك.

٢- هذه الأسباب المنصوصة لا يجوز تعديتها إلى غير محل النص، أي لا يجوز القياس عليها.

٣- هذا الربط المنصوص بين بعض الأحكام وبعض الأسباب، ليس وراءه حكمة أو غرض، أي ليس فيه قصد إلى جلب مصلحة أو درء مفسدة، وإنما هي مشيئة الله وكفى.

أدلة ابن حزم على إنكار التعليل

لعل أهم دليل عند ابن حزم يقيم عليه مذهبه في إنكار التعليل، والتشنيع على المعللين، هو قوله تعالى: «لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ» [الأنبياء: ٢٣]. فيقول عنها: «وقد قال تعالى واصفًا نفسه: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فأخبر تعالى بالفرق بيننا وبينه، وأن أفعاله لا يجري فيها «لمَ»، وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه وأفعاله: «لمَ كان هذا»، فقد بطلت الأسباب جملة، وسقطت العلة ألبتة، إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل أمر كذا لأجل كذا، وهذا أيضًا مما لا يُسأل عنه، فلا يحل لأحد أن يقول: لم كان هذا السبب لهذا الحكم ولم يكن لغيره؟ ولا أن يقول: لمَ جُعل هذا الشيء سببًا دون أن يكون غيره سببًا أيضًا؟ لأن من فعل هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل وألحد في الدين، وخالف قوله تعالى: «لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ» [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل الله عما يفعل فهو فاسق». [الإحكام ١٠٢/٨- ١٠٣].

ويقول: «وهم دائمًا يسألون ربهم (أصحاب القياس) لِمَ فعلت كذا؟ كأنهم لم يقرءوا هذه الآية! نعوذ بالله من الخذلان». [الإحكام ٨/١٢٥].
فابن حزم يستدل بهذه الآية أمام كل باحث عن حكم الشريعة وعلل أحكامها، إلا ما كان منصوصًا عليه، ويحرِّم ويفسِّق كل تساؤل عن مقاصد الشرع وأسرار الشريعة.
وقد رد عليه الشيخ أبو زهرة بأن ابن حزم خلط بين أفعال الله وأحكامه، ونقل منع السؤال من الأفعال إلى الأحكام.
يقول الشيخ أبو زهرة: «ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يُسأل عن أفعاله ولا يسأل عن أقواله؛ لأنه ليس لأحد سلطان بجوار سلطانه، إنه مالك الملك ذو الجلال والإكرام، فليس لأحد أن يستطيل فيسأل عن علة أفعاله تعالى؛ لأنه الحكيم العليم الخبير، ولكن هل يقتضي هذا النهي عن أن يُبحث عن علة النصوص في الشريعة؟
إني أرى أن الفارق كبير بين علة النصوص الشرعية وعلة أفعال الله تعالى؛ لأن البحث عن علة النصوص في الشريعة، تعرُّف للمراد منها والمطلوب». [انظر تاريخ المذاهب الفقهية لأبي زهرة: ٤٣٠، ٤٣١].
لكن ابن حزم يستدل على منع التعليل - أيضًا - بقوله تعالى: «فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» [البروج: ١٦]. وبقوله تعالى: «لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ» [الرعد: ٤١].
أي إن الله تعالى يفعل ما يريد، ويحكم بما يريد، فليس الكلام عن الأفعال والأقوال فقط كما قال الشيخ أبو زهرة، بل يدخل فيها ابن حزم الأحكام؛ ولأن أحكامه تعالى من أفعاله، ولأن أفعاله فيها نوع من أحكامه.
ثم إن ابن حزم لا ينكر أن تعرف المراد والمطلوب من النص - الذي أثبته الشيخ أبو زهرة - وهناك فارق بين معرفة المراد والمطلوب من النص، وتعليل النص، ففي قوله تعالى - على سبيل المثال -: «وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» [النساء: ٢٣]، فالمراد والمطلوب من الآية أن لا يُجمع بين الأختين في عصمة زوج واحد، في وقت واحد، فهذا حُكمه التحريم، أما تعليل التحريم فهذا شيء آخر، وهو السؤال عن علة تحريم الجمع بين الأختين؟ وهذا ما ينكره ابن حزم، بل يحرِّمه ويفسِّق قائله.

فلا يجوز عند ابن حزم أن نقول: إن الله تعالى حرَّم ذلك من أجل دفع الغيرة بين الأختين، والتي قد تؤدي إلى تقطيع الأرحام وتمزيق الأواصر في العائلة الواحدة، وهذه مفسدة عظمى، أكبر من مصلحة زواج الأختين لرجل واحد.
ومن أدلة ابن حزم أيضًا قوله تعالى: «وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ» [المدثر: ٣١].
قال ابن حزم عن الآية: فأخبر تعالى أن البحث عن علة مراده تعالى ضلال؛ لأنه لا بد من هذا، أو من أن تكون الآية نهيًا عن البحث عن المعنى المراد، وهذا خطأ لا يقوله مسلم، بل البحث عن المعنى الذي أراده الله تعالى فرض على كل طالب علم، وعلى كل مسلم فيما يخصه، فصح القول الثاني ضرورة ولا بد.
(أي إن ابن حزم يقول: إن الله تعالى ينهى في الآية عن السؤال، وبالطبع ليس هو السؤال عن معنى الآية، فيبقى النهى عن السؤال الثاني وهو ما العلة؟).
ثم قال ابن حزم: وقال تعالى: «فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» [البروج: ١٦]، وقال تعالى: «لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ» [الأنبياء: ٢٣].
وهذه كافية في النهي عن التعليل جملة، فالمعلل بعد هذا عاص لله، وبالله نعوذ من الخذلان. [الإحكام ٨/١١٢].
واستدلال ابن حزم بقوله تعالى: « لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ» [الأنبياء: ٢٣]، وهي الآية العمدة في إنكار ابن حزم للتعليل، ليس معناها هو ما استدل به ابن حزم، وإنما معناها أن الله تعالى لا يُسأل سؤال اعتراض أو محاسبة أو أن يعترض أحد من خلقه على أفعاله وأحكامه، ولا شك أن هذا السؤال منهي عنه وهو كفر، بخلاف العباد فهم يُسألون ويُحاسبون عن أفعالهم وأقوالهم.
يقول ابن كثير في الآية:... أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه، وهم يُسألون: أي وهو سائل خلقه عما يعملون، كقوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» [الحجر: ٩٢- ٩٣].
وهذا كقوله تعالى: «وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» [المؤمنون: ٨٨]. [تفسير ابن كثير ٥/٢٩٥].

تذكرة: نتكلم في طرق معرفة المقاصد من عدة حلقات، فذكرنا منها اثنتين هما:
أولاً: مجرد الأمر والنهي، الابتدائي التصريحي.
ثانيًا: اعتبار علل الأمر والنهي.

ثالثًا: اعتبار المقاصد التابعة (أي الخادمة للمقاصد الأصلية):

إنّ للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادات مقاصد أصلية (أساسية) تعتبر الغاية الأولى والعليا للحكم، ومقاصد تابعة للأساسية ومكملة لها.
مثال ذلك: النكاح، فإنه مشروع للتناسل على المقصد الأول، ويليه طلب السكن والازدواج، والتعاون على المصالح الدنيوية، والأخروية، من الاستمتاع بالحلال، والنظر إلى ما خلق الله من المحاسن في النساء، والتجمل بمال المرأة، أو قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها، أو إخوته، والتحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفرج ونظر العين، والازدياد من الشكر بمزيد النعم من الله على العبد، وما أشبه ذلك، فجميع هذا مقصود للشارع من شرع النكاح، فمنه منصوص عليه أو مشار إليه، ومنه ما عُلم بدليل آخر ومسلك استُقرئ من ذلك المنصوص، ذلك أن ما نص عليه من هذه المقاصد التوابع هو مثبت للمقصد الأصلي، ومقوٍّ لحكمته، ومستدع لطلبه وإدامته، ومستجلب لتوالي التراحم والتّواصل والتعاطف، الذي يحصل به مقصد الشارع الأصلي من التناسل.
وعند ذلك يتبين أن نواقض هذه الأمور مضادة لمقاصد الشارع بإطلاق، من حيث كان مآلها إلى ضد المواصلة والسكنِ والموافقة.
كما إذا نكحها ليحلها لمن طلقها ثلاثًا (نكاح التحليل: هو أن يتزوج رجل امرأة بعد طلاقها ثلاثًا على اتفاق أن يُحلها لزوجها الأول، وهو حرام)..
وكذلك نكاح المتعة (نكاح المتعة: أن يتزوج رجل امرأة لمدة مؤقتة متفق عليها قلّت أو كثرت، وهو حرام). (انظر الموافقات ٣/١٣٩- ١٤٠).
فكل ما من شأنه التراحم والتواصل والتعاطف، الذي يحقق المقصد الأصلي من الزواج، وهو التناسل: كما في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم. [أبو داود وصححه الألباني].
فجاء الحديث بصيغة الأمر، والمقاصد الأخرى التابعة - وهي معتبرة - أقرها الشرع، كالسكن والمودة والرحمة، «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً» [الروم:٢١]، والمال والجمال والحسب، كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه.
والقيام على المصالح، كما في حديث جابر رضي الله عنه عندما تزوج امرأة ثيبًا للقيام على مصالح إخوته وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بقوله: «بارك الله لك». والحديث متفق عليه.
وأيضًا كل ما لم ينص عليه - لكنه يؤدي إلى تحقيق مقصود الشارع من النكاح - فهو معتبر.
وكذلك في العبادات، فهناك مقصود أساسي أصيل، ومقاصد تابعة.
فالصلاة، مقصود أساسي، أمّا الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والأذان للتعريف بالوقت وإظهار شعائر الإسلام وغيرها، فهي مقاصد تابعة خادمة للمقصد الأصلي وهو الصلاة، وإن كانت المقاصد التابعة واجبة.
- وطلب العلم، المقصد الأصلي منه، بالنسبة لطالبه، هو: التعبد.
وله مقاصد تابعة: من تعظيم أهل العلم؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، ومن المناقب الحميدة في الدنيا، والمآثر الحسنة، والمنازل الرفيعة، وغير ذلك، فهذا غير مقصود من العلم شرعًا، وإن كان صاحبه يناله.
لكن ينبغي أن يفرّق بين مقصد خادم (تابع) للمقصد الأصلي، فالقصد إليه ابتداء صحيح، وبين مقصد غير خادم للمقصد الأصلي، كتعلم العلم للرياء أو لمماراة السفهاء، فالقصد إلى ذلك ابتداءً غيرُ صحيح.
والحمد لله رب العالمين.
وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

واحة التوحيد

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصيام في شعبان

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان يصوم شعبان أو عامة شعبان». [أخرجه النسائي وصححه الألباني].

من نور كتاب الله

من أسباب التمكين

قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧].

حكم ومواعظ

عن قيس بن أبي حازم قال: بكى ابن رواحة، وبكت امرأته، فقال لها ابن رواحة: «ما يبكيك؟» قالت: بكينا حين رأيناك تبكي، فقال عبد الله: «قد علمت أني وارد النار، فلا أدري أناج منها أم لا؟!» [الزهد لابن المبارك].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم، كان يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من الفقر، والقِلة، والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

من فضائل الصحابة

الشهادة لعلي بن أبي طالب بحب الله ورسوله

عن أبي هريرة- رضي الله عنه -، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأدفعن الراية غدًا إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه»، فقال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتطاولت لها، قال: فقال لعليّ: «قم» فدفع اللواء إليه. [مسند أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

إعداد: علاء خضر

فضائل شهر شعبان

عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه -، قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم» [أخرجه النسائي وصححه الألباني]

من دلائل النبوة

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اشهدوا». [صحيح البخاري].

من نصائح السلف في وقت اختلاط واضطراب الأمور

عن عبد الله قال: «إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعًا في الخير، خير من أن تكون رأسًا في الشر» [الإبانة].

من أقوال السلف
اختر لنفسك واحدة من أربع!

عن الحسن عن أبي الدرداء، قال: «كن عالمًا، أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًا، ولا تكن الخامسة فتهلك». قال: فقلت للحسن: من الخامسة؟ قال: «المبتدع». [الإبانة].

من أخلاق السلف
كانوا لا يتاجرون بصلاحهم

عن رجاء بن أبي سلمة قال: نُبِّئْتُ أن ابن محيريز، دخل على رجل من البزازين يشتري شيئًا، فقال له رجل: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيريز (أي أنه كان معروفًا بالصلاح والعلم)، فقام فقال: «إنما جئنا لنشتري بدراهمنا ليس بديننا». [الزهد لأحمد].

أحكام الصلاة

شروط الصلاة استقبال القبلة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد، فما يزال حديثنا متصلاً عن أحكام الصلاة، ونتناول في هذا العدد الشرط الخامس من شروط صحة الصلاة، ألا وهو استقبال القبلة، فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه المعونة:

لقد اتفق الفقهاء على أن استقبال القبلة شرطٌ في صحة الصلاة، والمراد بالقِبلة الكعبة، وسُمِّيَت قِبْلة؛ لأن النَّاس يستقبلونها بوجوههم ويؤمُّونها ويقصدونها.

وهو من شروط الصَّلاة بدلالة الكتاب، والسُّنَّة:

أما الكتاب فقوله تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

وأما السُّنَّة: فكثيرة؛ منها: قوله صلَّى الله عليه وسلَّم للمسيء في صلاته: «إذا قمت إلى الصَّلاة فأسبغ الوُضوء، ثم استقبل القِبْلة فكبِّر» [متفق عليه].

ويُستثنى من ذلك حالتين: في شدة الخوف، وصلاة النافلة للمسافر على الراحلة.

وقيد المالكية والحنفية شرط الاستقبال بحالة الأمن من عَدُوّ وسَبُع وبحالة القدرة، فلا يجب الاستقبال مع الخوف، ولا مع العجز كالمربوط والمريض الذي لا قُدرة له على التحول ولا يجد من يحوّله، فيصلي لغيرها إلى أيّ جهة قدر؛ لتحقق العذر.

واتفق العلماء على أن من كان مشاهداً معايناً للكعبة: ففرضه التوجه إلى عين الكعبة يقيناً. وأما غير المعاين للكعبة ففرضه عند الجمهور (غير الشافعية) إصابة جهة الكعبة.

والسبب في اختلافهم هو: هل في قوله تعالى: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» محذوف حتى يكون تقديره: ومن حيث خَرجت فَوَل وجهك شطر المسجد الحرام، أم ليس هاهنا محذوف أصلاً، وأن الكلام على حقيقته؟ فمن قدّر هنالك محذوفًا قال: الفرض الجهة، ومن لم يقدر هنالك محذوفًا قال: الفرض العين والواجب حمل الكلام على الحقيقة حتى يدل الدليل على حمله على المجاز، وقد يقال: إن الدليل على تقدير هذا المحذوف قوله عليه الصلاة والسلام: «ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجه نحو البيت» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

قالوا: واتفاق المسلمين على الصف الطويل خارج الكعبة يدل على أن الفرض ليس هو العين، أعني إذا لم تكن الكعبة مبصرة. وهذا هو الأرجح. والمطلوب عند أئمة المذاهب في إصابة جهة الكعبة محاذاتها ببدنه وبنظره إليها، بأن يبقى شيء من الوجه مسامتاً (محاذياً) للكعبة.

الحكمة من استقبال الكعبة:

أن يتَّجه الإنسان ببدنه إلى مُعَظَّم بأمر الله وهو البيت، كما يتَّجه بقلبه إلى ربِّه في السَّماء، فهنا اتجاهان: اتجاهٌ قلبي واتجاهٌ بدني، الاتجاه القلبي إلى الله عزَّ وجل، والاتجاه البدني إلى بيته الذي أَمرَ بالاتِّجاه إليه وتعظيمه، ولا ريب أنَّ في إيجاب استقبال القِبْلة من مظهر اجتماع الأمَّة الإسلامية ما لا يخفى على الناس، لولا هذا لكان النَّاس يُصلون في مسجد واحد، أحدهم يُصلي إلى الجنوب، والثاني إلى الشمال، والثالث إلى الشرق، والرابع إلى الغرب!!! وقد تتعذر الصفوف في الجماعة، لكن إذا كانوا إلى اتجاه واحد صار ذلك من أكبر أسباب الائتلاف.

وكان الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام يُصلِّي إلى بيت المقدس، ولكن الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيكون مقامه في صلاته بين الرُّكن اليماني والحَجَر الأسود؛ لتكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ولما هاجر إلى المدينة بقيَ بأمر الله عزّ وجل يُصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وبعض السَّابع عشر،

ثم بعد ذلك أُمِرَ بالتَّوجه إلى الكعبة.

الاجتهاد في القبلة:

يجب التحري والاجتهاد في القبلة، أي بذل المجهود لنيل المقصود بالدلائل على من كان عاجزاً عن معرفة القبلة، واشتبهت عليه جهتها.

والدليل على وجوب التحري: ما روى عامر بن ربيعة أنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» [البقرة:١١٥]» [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وما يُستدلُّ به على القبلة أشياء:

الأول: خبرُ ثقة، سواءً أخبره عن يقين أم عن اجتهاد، فإنه يعمل بقوله كما نعمل بقول الثقة بالاجتهاد في مسائل الدِّين؛ الحلال والحرام والواجب، فكيف لا نعمل به في إخباره بالقِبْلة؟! فلو أخبره ثقة . رَجُل أو امرأة . أن هذه هي القِبْلة، لَزِم الأخذ بقوله. والثقة: تستلزم العدالة والخبرة، فإن لم يكن عدلاً فليس بثقة؛ لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» [الحجرات: ٦] فأوجب الله سبحانه وتعالى أن نَتَبَيَّن، وأن نتثبَّت في خبر الفاسق، ولم يوجب ردَّه مطلقاً؛ ولا قَبُوله مطلقاً، ولا يُشترط أنه يخبره ثقتان، وهذا بخلاف الشهادة؛ لأن هذا خبر دِيني فاكتُفيَ فيه بقول الواحد، كما نعمل بقول المؤذن بدخول الوقت. ولو كان المخبر امرأة يُوثق بقولها؛ لكونها عدلاً وذات خبرة، فإننا نأخذ بقولها. والعلَّة: أن هذا خبر ديني فيُقبل فيه خبر المرأة كالرِّوَايَة، فإنَّا نقبل فيها قول المرأة إذا كانت عدلاً حافظة.

الثاني مما يُستدلُّ به على القِبْلة: المحاريب الإسلامية:

فإذا وُجدت محاريبَ إسلاميَّة فإنه يُعمل بها؛ لأن الغالب بل اليقين أن لا تُبنى إلا إلى جهة القِبْلة. والمحاريب: جمعُ مِحْرَاب، وهو طاق القِبْلة الذي يقف نحوه الإمام في الجماعة.

الثالث مما يُستدل به على القِبْلة: القُطب:

وهذا دليل آفاقي، أي: دليل على الأُفق. والقُطْبُ: هو الشيء الذي تدور عليه الأشياء، وهو أصل الشيء، وهو نجم خفيٌّ، قال العلماء: لا يراه إلا حديد البَصَر في غير ليالي القمر إذا كانت السماء صافية، والدَّليل على اعتبار النجوم دليلاً قوله تعالى: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» [النحل: ١٦]، فإن الله سبحانه وتعالى أطلق الإهتداء بالنَّجم، فالنَّجم يُهتدى به على الجهات لكل غرض.

الرَّابع مما يستدل به على القِبْلة الشمس والقمر: لأنَّ كلاهما يخرج من المشرق ويغرب من المغرب، فإذا كنت عن الكعبة غرباً فالقِبْلة شرقاً، وإذا كنت عن الكعبة شرقاً، فالقِبْلة غرباً، وإذا كنت عن الكعبة شمالاً فالقِبْلة جنوباً، وإذا كنت عن الكعبة جنوباً فالقِبْلة شمالاً.

الخطأ في الاجتهاد:

الحنفية والحنابلة يقررون البناء على الصلاة في أثنائها، فإن كان في الصلاة استدار وبنى عليها أي أكمل صلاته، ولا يوجبون الإعادة في حال الاجتهاد وتبين الخطأ بعد الفراغ من الصلاة، ولا إعادة عليه لما مضى، لإتيانه بما في وُسعه.

وكذلك تستدير الجماعة مع الإمام إن بان لهم الخطأ في حال واحدة، وإن تبين خطأ اجتهاده بعد الصلاة، بأن صلى إلى غير جهة الكعبة يقيناً لم يلزمه الإعادة، ومخالفة المأمومين لإمامهم لا تمنع صحة الصلاة، إلا المقيم في الحضر عند الحنابلة فعليه الإعادة؛ لأن الحضر ليس بمحل الاجتهاد؛ لأن من فيه يقدر على معرفة القبلة بالمحاريب، ويجد من يخبره عن يقين غالباً، فلا يكون له الاجتهاد، كالقادر على النص في سائر الأحكام.

والمالكية والشافعية يقررون قطع الصلاة إذا عرف الخطأ فيها، إن كان بصيراً ومنحرفاً كثيراً، بأن استدبر أو شرَّق أو غرب، وابتدأها بإقامة، ولا يكفي تحوله لجهة القبلة. فإن كان منحرفاً انحرافاً يسيراً، فلا إعادة عليه. وإن كان بصيراً منحرفاً كثيراً أو ناسياً للجهة التي أداه اجتهاده إليها، أو التي دله عليها العارف، أعاد في الوقت على المشهور، والشافعية يوجبون الإعادة مطلقاً في الوقت وبعده، لتبين فساد الأولى. [الفِقْه الإسلامي وأدلته ١/٦٧١].

وسبب الخلاف في ذلك معارضة الأثر للقياس مع الاختلاف أيضًا في تصحيح الأثر الوارد في ذلك. أما القياس فهو تشبيه الجهة بالوقت: أعني بوقت الصلاة، وذلك أنهم أجمعوا على أن الفرض فيه هو الإصابة، وأنه إن انكشف للمكلف أنه صلى قبل الوقت أعاد أبدًا، ووجه الشبه بينهما أن هذا ميقات وقت، وهذا ميقات جهة.

وأما الأثر فحديث عامر بن ربيعة قال: كنا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء في سفر فخفيت علينا القبلة فصلى كل واحد منا إلى وجه، فلما أصبحنا فإذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مضت صلاتكم» ونزلت: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

وعلى هذا فتكون هذه الآية محكمة، وتكون فيمن صلى فانكشف له أنه صلى لغير القبلة، والجمهور على أنها منسوخة بقوله تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» [البقرة: ١٤٩] فمن لم يصح عنده هذا الأثر قاس ميقات الجهة على ميقات الزمان، ومن ذهب مذهب الأثر لم تبطل صلاته. [بداية المجتهد ١/١١٢].

وَإِنْ اجتَهَدَ مُجْتَهِدَانِ فَاخْتَلَفَا جِهَةً، أي: بذلا الجُهد في معرفة القِبْلَة. فَلَا يجوز أن يَتْبَعَ أحدُهما الآخر؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما يعتقد خطأ الآخر، وهذا فيما إذا كان الاختلاف في جهتين.

والمجتهد في جهة القِبْلة هو: الذي يعرف أدلَّتها، كما أنَّ المجتهد في باب العلْم هو الذي يعرف أدلَّة العلم، فالنَّاس بالنسبة للقِبْلة إمَّا مجتهدٌ يعرف كيف يستدلُّ بأدلَّتها، وإما مقلِّدٌ لا يعرف ولا يدري. فأما إذا اختلفا في جهة واحدة؛ بأن اختلفا في الانحراف في جهة واحدة، فهنا لا بأس أن يَتْبَعَ أحدُهما الآخر، مثل: أن يتَّجها إلى الجنوب لكن أحدهما يميل إلى الغرب، والآخر يميل إلى الشَّرق فلا بأس للذي يميل إلى الغرب أن يَتْبَع الذي يميل إلى الشَّرق، ويميل معه إلى الشَّرق أو العكس؛ لأن الانحراف في الجهة لا يضرُّ؛ ولا يُخِلُّ بالصَّلاة وأما المقلِّدُ ففرضُه التَّقليد. [الشرح الممتع ٢/٤٥].

صلاة النافلة على الراحلة للمسافر:

يجوز التطوع على الراحلة للمسافر باتجاه مقصده بإجماع العلماء؛ وذلك لما ثبت في السنة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي على دابته من الليل وهو مسافر، ما يبالي حيث ما كان وجهه. وقال ابن عمر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبِّح على راحلته قبَل أيِّ وجه توجه، ويوتر عليها، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة». رواه البخاري.

فإذا قال قائل: هذا استثناء من عموم نصوص الكتاب والسُّنَّة، فقد قال الله تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» [البقرة: ١٥٠]. وهذا عموم من أقوى العمومات، فإنَّ «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ» جملة شرطيَّة من أقوى العمومات؛ فما الذي أخرج هذه الحال من هذا العموم؟

فالجواب: أخرجتها السُّنَّة؛ بفعل الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذه السُّنَّة خصَّصت عموم الآيات والحديث. فإن قال قائل: أفلا يُمكن أن يكون هذا قبل وجوب استقبال القِبْلة؟ قلنا: لا يمكن؛ لأنَّ الصحابة استثنوا الفرائض، فدلَّ هذا على أنَّه بعد وجوب استقبال القِبْلة.

فإذا قال قائل: ما نوع هذا التَّخصيص؟ قلنا: هذا في الحقيقة من غرائب التَّخصيصات؛ لأنه قرآنٌ خُصَّ بسُنَّة، وقولٌ خُصَّ بفعل، يعني: لم يقل الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم: من تنفَّل في السَّفر فلا يستقبل. ومعلومٌ أن تخصيص قول بفعل، أضعف من تخصيص قول بقول؛ لاحتمال الخُصوصية، ولاحتمال العُذر، بخلاف القول.

وأيضاً: تخصيص القرآن بالسُّنَّة أضعف من تخصيص القرآن بالقرآن. ولكن نقول: إن السُّنَّة تكون من الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم بأمر الله الصَّريح؛ أو بأمره الحكمي الذي يُقرُّ الله سبحانه وتعالى فيه نبيَّه على ما قال أو على ما فعل، ولهذا إذا فعل الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام شيئاً لا يُقرُّهُ الله عليه بَيَّنَه، كما قال الله تعالى له: «عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» [التوبة: ٤٣].

فإذاً، نقول: إن فعل الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام في تَرْك استقبال القِبْلة في التنفُّل في السَّفر كان بأمر الله الحُكمي؛ لأنه أقرَّه، فيكون ما جاءت به السُّنَّة كالذي جاء به القرآن تماماً في أنه حُجَّة.

وللفقهاء آراء وشروط في صلاة النافلة على الراحلة:

والخلاصة: أن الفقهاء اتفقوا على جواز الصلاة على الراحلة في السفر الطويل، وعلى كون الصلاة بالإيماء، واختلفوا في السفر القصير، فأجازها الشافعية والحنابلة، ومنعها المالكية والحنفية.

واشترط الحنابلة والشافعية شرطين:

أحدهما: أن يكون سائراً.

الثاني: أن يكون في سفر مباح.

قال الحنابلة والشافعية: يجوز للمسافر الراكب

لا الماشي، سفراً طويلاً أو قصيراً أن يتطوع في السفر على الراحلة إذا قصد جهة معينة، ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، قال جابر: «بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلم في حاجة فجئت وهو يصلي على راحلته نحو المشرق، والسجود أخفض من الركوع» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

وإن عجز عن الاستقبال سقط بغير خلاف، كما يسقط الاستقبال لأعذار أخرى كالتحام حرب، وهرب من سيل أو نار أو سَبُع ونحوه، ولو كان العذر نادراً كمريض عجز عن الاستقبال، وكمُقْعَد عجز عمن يديره إلى القبلة، وكمربوط ونحوه.

وإن عجز عن الاستقبال في ابتداء صلاته، كراكب راحلة لا تطيعه، أو كان في قافلة (قطار) فليس عليه استقبال القبلة في شيء من الصلاة. ولا يسقط الاستقبال إذا تنفل في الحضر كالراكب السائر في مصره أو قريته؛ لأنه ليس مسافراً، فإن قيل: إذا كان المسافرُ نازلاً في مكان، فهل يجوز أن يتنفل إلى غير القبلة؟ فالجواب: لا؛ لأنَّ تخصيص العام يُقتصر فيه على الصُورة التي وقع فيها التَّخصيص فقط. فإن قيل: إذا كان الإنسانُ في بلده، لكن البلد متباعد الأحياء؛ فهل له أن يتنفل في هذه الحال إلى جهة سيره؟ فالجواب: ليس له ذلك؛ لأنه غير مسافر.

هل يَلْزَمُ المسافر افتتاحُ الصَّلاةِ إلى القِبلة؟

هو شرط عند الشافعية والحنابلة في بداية الإحـرام بالصلاة عند الإمكان، ويسقط بالعجز، ودليل اشتراط استقبال القبلة في ابتداء الصلاة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود وغيره أنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلم كان إذا سافر؛ فأراد أن يتطوَّع؛ استقبل بناقته القِبْلة؛ فكبَّر، ثم صَلَّى حيث وجَّهه رِكابُه. والحديث حسنه الألباني.

قالوا: فهذا دليل على أنه يجب افتتاح الصَّلاة إلى القِبْلة؛ لأن تكلُّف النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ومعاناته لإيقاف البعير واتجاهه إلى القِبْلة وقطع المسير يـدل على أنـه أمر واجـب. وقـال الحنفية والمالكية: إنه ليس بشرط. وأجابوا عن هذا الحديث بأمرين:

أولا: أنَّه ليس إلى ذاك في الصِّحَّة، وغاية ما قيل فيه: إنه حسن.

والثاني: أنه فعل، ومجرد الفعل لا يدلُّ على الوجوب. وحديث ابن عمر وغيره من الأحاديث عامة: «أنـه كان يُصلي حيث كان وجهه» رواه البخاري. وظاهرها أنه من ابتداء الصلاة إلى انتهائها.

والصَّحيح في هذه المسألة أن الأفضل أن يبتدئ الصَّلاة متَّجها إلى القِبْلة، ثم يتَّجه حيث كان وجهه، أمَّا أن يكون واجباً بمقتضى هذا الدَّليل المُعارِض للأدلَّة التي هي أصحُّ منه ففي النَّفس منه شيء.

حكم الصلاة في الطائرة والقطار والسفينة:

الصلاة جائزة في الطائرة وهي محلقة في الجو، وبالأولى إذا كانت رابضة على الأرض، والمالكية لا يجيزونها فيها وهي في الجو؛ لأن شرط السجود عندهم أن يتصل المسجود عليه بالأرض اتصالاً حقيقيًا، ورأي الجمهور أقوى، والإنسان يضطر إلى الصلاة في الطائرة إذا كان السفر يستغرق وقتا طويلاً كالسفر من مصر إلى الصين أو غيرها من البلاد البعيدة، أو كان تحليقها في وقت الفجر الذي لا يُجمع مع غيره.

ويتحرى المصلي اتجـاه القبلة - والملاحون يعرفون ذلك بالتقريب- إن لم تكن معه أداة «بوصلة «يُتعرف بها القبلة، وزمن أداء الصلاة قصير؛ لأن الرباعية تُصلى ركعتين قصرًا، فإن لم يستطع الصلاة من وقـوف -لحصول دوار مثـلاً- فليصل قاعدًا، والواجب على المسلم في الطائرة إذا حضرت الصلاة أن يصليها حسب الطاقة: فإن استطاع أن يصليها قائمًا ويركع ويسجد فعل ذلك، وإن لم يستطع صلى جالسًا وأومأ بالركوع والسجود، فإن وجد مكانًا في الطائرة يستطيع فيه القيام والسجود في الأرض بدلاً من الإيماء وجب عليه ذلك؛ لقول الله سبحانه: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦] وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين رضي الله عنهما وكان مريضا: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري في الصحيح، ورواه النسائي بإسناد صحيح، وزاد: «فإن لم تستطع فمستلقيًا»، والأفضل له أن يصلي في أول الوقت، فإن أخَّرها إلى آخر الوقت ليصليها في الأرض فلا بأس، لعموم الأدلة. وحكم القطار والسفينة حكم الطائرة [انظر في هذا فتاوى الأزهر (٨/٤٨٤)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٨/ ١٢٠) وفتاوى الشيخ ابن باز (٧/٦٠)].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

من فقه إدارة الدعوة (٢)

التدريب العملي

إعداد / د. محمد يسري

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد تعرضنا في المقالة السابقة لأهمية التخطيط الدعوي، ونعرض في هذه المقالة لأهمية التدريب العملي:

ومما ينبغي أن يكون متقررًا أنه إذا اكتمل شأن التخطيط وأحكم أمر الإعداد، فإن التدريب العملي ينبغي أن يسبق التنفيذ الفعلي.

والتدريب في ساحة الدعوة هو الذي يُسد الثغرة ويُردم الهوة بين الدراسة النظرية في الكليات والمعاهد الشرعية وبين الممارسة العملية في المساجد والمراكز الدعوية والمدارس والمحاضن التربوية والأعمال الإعلامية.

وإذا كان الدخول إلى الساحة الدعوية بدون تدريب عملي مسبق اكتفاءً بالدراسة النظرية أمرًا عجيبًا، فإن الأعجب والأغرب مَن يكتب أو يتحدث موجهًا وناقدًا دون أن يمارس أو يعالج شيئًا من ذلك، اعتمادًا على شهادة أكاديمية فحسب!

ولا شك أن انفصالَ الجانب العلمي عن العملي مكمنٌ من مكامن الداء، وسبب من أسباب الخلل في الواقع المعاصر في الدعوة والتربية والتغيير.

منهج السلف في تدريب الناشئة

ولقد كان أسلافنا الصالحون يدرِّبون ناشئتهم بين أيديهم في ساحة التلقي الأولى: المساجد، ففيها تُتلقى العلوم النظرية، وتُرى وتسمع وتُمارَس التطبيقات العملية، فكان علم الدعوة -تأصيلاً وتنظيرًا- يُتلقى مع عملها ممارسةً وتطبيقًا بمشافهة الشيوخ ومخالطة العلماء، وبالممارسة بحضرة الكبار وبالتقويم الحاضر والتوجيه الناجز.

ومع تقدم في الزمان وتبدل في الأحوال انفصل التعليم عن التدريب، وافتقر التنفيذ إلى التأهيل، فغابت الثمرة المرجوة، وانتشرت الأمية العملية، وصار مألوفًا اليوم أن يرتقي الداعية منبرًا فلا يعجم حرفًا، ولا يقيم لفظًا! ولا يحسن وعظًا!

ولا شك أن الداعية المؤهل هو الذي تلقى تدريبًا يمكِّنه من مواجهة الناس في المسجد إمامًا معلمًا، وفي الدَّرس مربيًا مرشدًا، وفي مراكز الدعوة والتأثير إداريًا ناجحًا، وقائدًا ميدانيًا موفقًا.

وبسبب من ضعف العناية بالتدريب يتحمل نحو خمسة بالمائة من الدعاة عبء الدعوة في حين يبقى أغلبهم في مقاعد المتفرجين أو المعطَّلين، ولأجل هذا القصور تنكفئ الدعوات على نفسها أكثر من انفتاحها على غيرها؛ بحيث يصير الخطاب داخليًا في معظمه، محليًا في إنتاجه واستهلاكه.

إن الدعوات الناجحة هي التي تحمل أبناءها على التأهل العلمي والعملي، وتضم إلى ذلك العناية بالصلاح الذاتي والممارسة العملية المنضبطة بضوابط المشروعية، والوعي بالتراتيب والسياسات الإدارية والتنظيمية، اللازمة لنجاح مشروع إسلامي.

نماذج نبوية

ومن اللافت للنظر أن كل أمر ذي بال لا بد من تدريب ومِران عليه وتأهيل لممارسته، فسياسة الخلق وهداية الأنام قد تبدأ من رعي الأغنام، وفي الحديث: «فما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» [البخاري (٢٢٦٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: قال العلماء «الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم» [فتح الباري (١٠/٥)].

ولما أُمر صلى الله عليه وسلم بمعالجة الخلق أوجب الله عليه القيام بدلاً من المنام وأنزل عليه «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» [المزمل: ١-٢] وعندها قال صلى الله عليه وسلم: «مضى عهد النوم يا خديجة». فلما نزل القرآن متتابعًا كان يدربه عليه جبريل عليه السلام ويراجعه معه كل ليلة في رمضان. [أخرجه البخاري (٦، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤) ومسلم (٢٣٠٨)].

ومن قبل لما مضى قدر الله في موسى عليه السلام بالتصدي للفرعون الطاغية جرى تدريبه تدريبًا ربانيًا، وتأهيله تأهيلاً إلهيًا، قال تعالى: «وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ» [طه:٣٩] فلما حانت ساعة البعثة، جاء خطاب التكليف متدرجًا من جهة ومدربًا من جهة أخرى؛ فيؤمر بإلقاء العصا ثم تنقلب أمام عينه حيةً تسعى، ثم يأخذها بيمينه فتنقلب إلى عصا تارةً أخرى، ثم ينزع يده فتخرج بيضاء من غير سوءٍ آيةً أخرى، كل ذلك قبل أن يقع أمام الخلق؛ لئلا تبهر روعةُ الآية موسى نفسه، قال تعالى: «قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى» [طه:١٧-٢٣].

الرسول وتدريب الصحابة

وفي سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم تدريب لأصحابه على الدعوة والتعليم والقضاء بين يديه وبعيدًا - أيضًا - عن ناظريه، فعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء، فقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول؛ فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء» قال: فما زلت قاضيًا أو ما شككت في قضاء بعدُ [أخرجه أحمد (١٣٤٢)، وأبو داود (٣٥٨٢)، والنسائي في الكبرى (٨٣٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٣٦)، وصححه الألباني في الإرواء (٨/٢٢٦)].

فربما قضى بعض أصحابه أمامه وبإذنه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وكان قريبًا منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى سيدكم» فجاء، فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملِك» [أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨)].

وربما عبر بعضهم الرؤيا بين يديه وبأمره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث: أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء؛ فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل، فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اعبرها). قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن؛ حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبتُ أم أخطأت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا»، قال فوالله لتحدثني بالذي أخطأت، قال: «لا تقسم» [أخرجه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (٢٢٦٩)].

كيف درب الصحابة أتباعهم؟

وبين يدي عمر تدرَّب أبو موسى على القضاء، وتحت ناظري عمر تعلم وتدرَّب شريح القاضي على أصول التقاضي والفصل بين الخصومات.

ودرَّب أبو الدرداء أهل جامع دمشق على تلاوة وتجويد القرآن، وكان أهل حلقته في المسجد يزيدون عن ألف وستمائة [غاية النهاية (١/٦٠٦-٦٠٧)]!

وعلى هذا درج السلف الصالح فعُرِف في حلقاتهم العرِّيف والمعيد، وهو الذي تدرب على إعادة درس الشيخ بعدَه للطلبة، وقد عُني المربون سلفًا بتدريب من يربونهم بالمخالطة والمشاركة، فتارة تكون التربية على القيام بالتعليم، وأخرى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثالثة على الدعوة والخطابة.

وهناك تدريب على المحاسبة والمساءلة، وتدريب آخر على انتهاز الفرص واهتبالها في ساحة الدعوة والنصح، وإذا كان للدعاة تدريب علمي ودعوي وعملي، فلا يمنع هذا من أن يكون لهم تدريب بدني وإعداد جسماني بالفروسية تارة وبالعَدْو أخرى، وبالرمي والسباحة تارات، وهكذا لا يقوم عملَ جليل إلا ويسبقه تدريب وتأهيل. [يستفاد من كتاب التدريب وأثره في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ط دار الأندلس الخضراء].

والدعوات المعاصرة اليوم عليها أن تفتح ساحات للتدريب والتأهيل في مساجدها ومراكزها الدعوية وأقسامها العلمية والبحثية، بما يؤهل ويهيئ أبناءها للقيادة والريادة، ويمكِّنهم من التصدي لتحديات عصرهم، ومتطلبات مجتمعاتهم غير هيَّابين ولا وجلين، وعليه فإن الإعلان عن مؤسسات التدريب في ساحة العمل الإسلامي المعاصر اليوم قد غدا ضرورةً حتميةً لا مفرَّ منها.

وللحديث بقية، بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

الشبهات المثارة حول أحاديث الرجم

الحلقة العاشرة

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد:

فما يزال الحديث موصولاً عن الرد على الشبهات المثارة على أحاديث الرجم، ونستعرض في هذا المقال - إن شاء الله - بعض الشبهات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعاً: قولهم: «فإن الإسناد الشفهي عبر رواة مختلفين في الزمان والمكان والظروف لا يستقيم مع المنهج العلمي...» مردود عليه بالآتي: أي منهج علمي يتحدثون عنه، ومن الذي وضعه، بل إن الله اختص هذه الأمة بأنها أمة السند، والإسناد من الدين، قال الإمام مسلم في صحيحه: « باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذبّ عن الشريعة المكرمة، حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ وَهِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وحدثنا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ...». وقال: «عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

ونقل رحمه الله عن ابن المبارك قوله: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء « اهـ، وقال السيوطي في تدريب الراوي: «قال سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل»؟! اهـ.

والثابت أن نقل الأحاديث لم يكن مشافهة فقط وإنما كان تدويناً أيضاً، فقد كان الصحابة يكتبون الحديث في حياته صلى الله عليه وسلم، وكانوا يحفظونه أيضاً، ثم نقله عنهم التابعون، وقد بدأ تدوين الحديث تدويناً عاماً وجمعه في زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو من التابعين، وأما قول من قال: إنه أدخل على الحديث النبوي ما ليس منه فهو صحيح، إلا أن أهل العلم قد بينوا الدخيل، وذلك وفقاً لضوابط علمية عظيمة ودقيقة، تفردت بها أمة الإسلام؛ حيث اشترطوا لقبول الحديث أن يكون راويه عدلاً ضابطاً لما يرويه، وأن يتصل السند إلى منتهاه، بحيث يكون كل راو سمعه ممن فوقه، واشترطوا أيضاً سلامة الحديث من الشذوذ والعلة، فإذا اختل شرط من ذلك لم يقبلوا الحديث، وتفصيل كل ذلك في كتب مصطلح الحديث، وقد ألف العلماء كتباً في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهي كثيرة جداً، وكذلك ألفوا في الأحاديث الصحيحة والمقبولة.

الشبهة الرابعة: قالوا عن قصة الغامدية: « إن القصة كفيلة بتشويه الإسلام وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام..... هذه القصة المؤلمة حيكت خصيصًا للإجابة علي سؤال فقهي، هو إذا كان حد الزنا هو الرجم، أي الموت، وليس الجلد كما في القرآن، فكيف إذا كانت الزانية المحصنة حاملاً من هذا الزنا أو من قبله؟ وهل يحكم عليها وعلى مولودها بالموت؟ لذلك جاءت الفتوى في هذا الحديث بإمهال المرأة إلى أن تضع وليدها وتفطمه، وكأنهم بذلك قد أراحوا ضمائرهم حين يكفل الطفل آخرون بعد إعدام أمه في تشريع ليس له أصل في القرآن أو في الإسلام، ولم يعرفه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وفي تفصيلات قصة الغامدية التي هشم خالد بن الوليد رأسها بحجر ثم شتمها يروي صانع القصة أن النبي قال لخالد وهو يعاتبه - فيما يزعمون - « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » وصاحب المكس هو من يجمع الضرائب عند المنافذ التجارية. وقد ورد هذا المصطلح في الإنجيل مقترنًا بالظلم «المكاسون» أو «العشارون». وهو

مصطلح ساد في الشام قبل الإسلام وبعد الفتوحات الإسلامية؛ حيث اقتضت الظروف السياسية والاقتصادية وجود موظفي الجمارك. وهو ما لم تعرفه الجزيرة العربية مطلقًا قبل الإسلام أو في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تعرفه اللغة العربية حينئذ، وليس من مصطلحات القرآن، مع احتواء القرآن على ألفاظ غير عربية، أي أن هذا الحديث قد تم اختراعه في عصر الخلفاء غير الراشدين، حيث عمَّ الظلم، وأصبح صاحب المكس ممثلاً لظلم الدولة. ويستحق أن يتطهر بالقتل، مثل بطلة" فيلم " الغامدية !!!؟؟

الرد عليها:

أولا: ما أثاروه بشأن إرجاء رجم الحامل: بأن الإسلام جاء ولم يفرق بين الرجال والنساء في الأحكام الشرعية، فإذا ما ارتكبت المرأة حدًا يوجب العقوبة عُوقبت مثل الرجل، إلا أن للنساء خصوصية في تأجيل العقوبة إذا كانت حاملاً، وهذا من عظمة الإسلام، الذي لا يؤاخذ الجنين بجريرة أمه، وإعدام المرأة المحكوم عليها بعد وضعها لوليدها أمر متعارف عليه في كثير من الدول، فالميثاق العربي لحقوق الإنسان الصادر بتاريخ ٢٣/٥/٢٠٠٤م قد نص في مادته السابعة في فقرتها الثانية على أنه "لا يجوز تنفيذ حكم الإعدام في امرأة حامل حتى تضع حملها أو في أم مرضع إلا بعد انقضاء عامين على تاريخ الولادة، وفي كل الأحوال تغلب مصلحة الرضيع".

كما نص على ذلك قانون الإجراءات الجنائية المصري في المادة "٤٧٦"، والمادة "٤٨٥"، والمادة ١٩٣ في الفقرة الثانية.

وفي التشريع اليمني الفقرة الأخيرة من المادة (٥٣٢) من قانون الإجراءات الجزائية اليمني.

والمادة (٤٨٤) من قانون العقوبات اليمني.

وفي التشريع البحريني المادة (٣٣٤) من قانون الإجراءات الجنائية.

وفي التشريع الليبي المادة (٤٣٦) من قانون الإجراءات الجنائية.

وفي التشريع الكويتي المادة ٣٣، والمادة ٤٩.

فهل رحمة الإسلام بالحامل وجنينها يعد تشويها للإسلام؟! أم أن الرجم وهو وسيلة من وسائل الإعدام هو الذي يشوهه؟! فالإسلام كله رحمة وعقوباته كلها عدل، كما أن هؤلاء الرويبضة تناسوا أن أكثر من ٦٠٪ من سكان العالم يعيشون في دول تطبق هذه العقوبة؛ حيث إن الأربعة دول الأكثر سكانا وهي جمهورية الصين الشعبية والهند والولايات المتحدة، وإندونيسيا تطبق عقوبة الإعدام.

وإعدام النساء أمر موجود بهذه الدول إذا ارتكبت جريمة تستحق تلك العقوبة، فلماذا التشغيب على حدود الإسلام؟ اللهم إلا الحقد الدفين من هؤلاء على الإسلام وتشريعاته.

ثانيا: ما أثاروه بالنسبة لكلمة مكس: قالوا: «إن الماكسين والعشارين مصطلح ساد في الشام قبل الإسلام.... إلخ» فمردود عليه بأن هذا من جهلهم باللغة والقرآن والتاريخ، فقد قال صاحب عون المعبود):صَاحِب مَكْس: فِي الْقَامُوس: الْمَكْس النَّقْص وَالظُّلْم، وَدَرَاهِم كَانَتْ تُؤْخَذ مِنْ بَائِعِي السِّلَع فِي الْأَسْوَاق فِي الْجَاهِلِيَّة، أَوْ دِرْهَم كَانَ يَأْخُذهُ الْمُصَدِّق بَعْد فَرَاغه مِنْ الصَّدَقَة انْتَهَى. وَقَالَ فِي النِّهَايَة: هُوَ الضَّرِيبَة الَّتِي يَأْخُذهَا الْمَاكِس وَهُوَ الْعَشَّار انْتَهَى. وَفِي شَرْح السُّنَّة: أَرَادَ بِصَاحِبِ الْمَكْس الَّذِي يَأْخُذ مِنْ التُّجَّار إِذَا مَرُّوا مَكْسًا بِاسْمِ الْعُشْر، فَأَمَّا السَّاعِي الَّذِي يَأْخُذ الصَّدَقَة وَمَنْ يَأْخُذ مِنْ أَهْل الذِّمَّة الْعُشْر الَّذِي صُولِحُوا عَلَيْهِ فَهُوَ مُحْتَسِب مَا لَمْ يَتَعَدَّ فَيَأْثَم بِالتَّعَدِّي وَالظُّلْم] اهـ.

و قال ابن كثير: « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ » [الأعراف: ٨٦] أي طريق «توعدون» أي تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس، وغير ذلك وتخيفون السبل. [البداية والنهاية١/١٨٦ط: دار المعارف].

وقال القرطبي: وعن ابن عباس قال: إن قوم لوط كانت فيهم الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضاً، ويتضارطون في مجالسهم،... ويضربون المكوس على كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله " اهـ، [تفسير القرطبي ١٣/٣٤٢ ط: دار الكتب المصرية].

ثم وعلى فرض أن أصل الكلمة شامية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عبر بصاحب المكس عبّر بشيء يعرفه الصحابة، فلقد غفل هؤلاء الجهلاء عن أن الصحابة كانوا يذهبون إلى الشام للتجارة، وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في تلك الرحلات، ومن ثم فقد عاين الصحابة أصحاب المكوس وهم يفرضونها عليهم حال دخولهم الشام، فإذا ضرب لهم النبي المثل بصاحب المكس فقد ضرب لهم بشيء يعرفونه، ومن ثم فلا يجوز إنكار الحديث بسبب تلك اللفظة والتي تبين أنها من الألفاظ المعروفة عند العرب في الجاهلية.

من كل ما سبق يتضح تهاوي الشبهات المتعلقة بهذا الحديث كسابقتها.

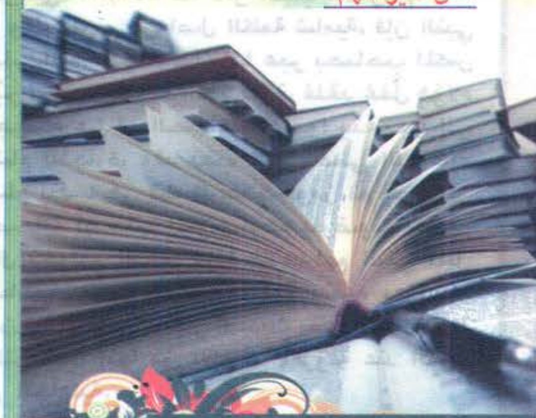
وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة

الإيمان بالقَدَر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. وبعد:

تتعرض بيوت المسلمين لكثير من المشاكل والاختلافات الأُسَرية، التي قد يؤدي بعضها إلى الفراق والطلاق، ويحدث عند ذلك نوع من الخصام واللدادة، والقطيعة والعداوة، ولا يرضى كل طرف بما آل إليه أمره، ويكثر عند ذلك السبّ واللعن والطعن، حتى إن الأولاد يرثون من آبائهم ذلك السلوك الخشن ولو أنهم استسلموا لقدر الله وآمنوا لكان خيرًا لهم.



إعداد/ جمال عبدالرحمن

فإن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، لا يصح إيمان العبد بغير الإيمان بالقدر، ذلك بأن الله تعالى له مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وهو الخالق لكل شيء، العليم بكل شيء، وكتب كل شيء، ولا يحدث شيء في الكون إلا بإذنه وإرادته. فعقيدة القدر تعلم المؤمنين أن لهذا الكون نظاماً محكماً، وسنناً مطردة، ارتبطت فيه الأسباب بالمسببات، وأنه ليس في خلق الله خلل ولا مصادفات.

ثمرة الإيمان بالقدر

ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات، وتعرف سنن الله في المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها، والجري إليها في سننها، ودخول البيوت من أبوابها، قال تعالى: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا» [الفرقان: ٢]، وقال جل شأنه: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ» [القمر: ٤٩]، فلكل شيء من مخلوقات الله سنن ونواميس، ومقادير منتظمة، كسننه في حمل الإناث وعقمها، وزيادة الذرية ونقصها، قال تعالى: «ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ» [الرعد: ٨]، والإنسان جزء من الوجود ينطبق عليه النظام الذي اقتضته حكمة بارئ الوجود ومربي كل موجود، قال تعالى: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ» [عبس: ١٨- ٢٢]. فالقرآن حث على التدبر في مخلوقات الله وآياته.

وإذا تأملنا في كلمة المقدار والتقدير في القرآن وجدنا أنها ترد بمعنى: جعل الشيء بمقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة، قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ» [المؤمنون: ١٨] أي أنزلناه بمقدار معين.

إذن فالإيمان بالقدر يسوق دائماً إلى السعي والعمل، «مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [التغابن: ١١]، وهذا الاعتقاد تتبعه صفة الشجاعة والسخاء، والأخذ بالأسباب في جميع الأشياء، كيف لا والحق سبحانه وتعالى يقول: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ» [الرعد: ١١]، إن هذا الاعتقاد والإيمان بالقدر يشجع المؤمن على الترقي في حياته الدينية والدنيوية، فـ «مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» [فصلت: ٤٦]. فقانون القدر الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه يعلمنا أن من آمن وعمل

صالحاً رفعه الله، «فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ» [الأنبياء: ٩٤]، وقال جل شأنه: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا» [الأحزاب: ٤٧].

الإيمان بالقدر لا يعني تعطيل الأسباب

والإيمان بالقدر لا يعني تعطيل المدارك والقوى التي أرشد الله إلى إعمالها والتفكر بها، ولا يعني الإيمان بالقدر الميل إلى الكسل وترك العمل، كما جاء في بعض كلام عمر رضي الله عنه، ولكن الإيمان بالقدر يقتضي طلب الأشياء من أسبابها، والعزيمة والتوكل على الله، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [الملك: ١٥]، وقال سبحانه: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» [البلد: ١٠]، فمن آمن بالله ظفر بهداية الله قال تعالى: «وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [التغابن: ١١]، «قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ» [الرعد: ٢٧]، وقال: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [المائدة: ١٦].

الرضا والتسليم دليل الإيمان

إن الرضا المطلق والقبول المحمود دليل صحة الإيمان، فالمؤمن يعلم أن من المنع عطاء، ورب ضارة نافعة، وأن الحياة المتدفقة بالآلام والمتاعب هي الحياة التي تفتق المواهب وتصنع الرجال، وأن ما من نازلة نزلت إلا ووراءها حكمة قد تدرك أو لا تدرك ، قدرها العليم الحكيم الذي قال في محكم الذكر الحكيم: «وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١٦]، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما عندما فقد عينيه يقول:

إنْ يأخذ الله من عينيَّ نورَهما
فَفي لساني وَقلبي منهما نورُ
قلبي ذكي وَعقلي غيرُ ذي دَخل
وَفي فمي صارمٌ كالسيفِ مَسلولُ

فهو لم يتسخط ولم يفشل لأنه آمن بقول الحق عز وجل: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ١٥٥]، وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك». أخرجه الحاكم في المستدرك حديث (٦٣٠٤) وأبو داود وصححه الألباني. وصدق الله العظيم حيث يقول: «قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [التوبة: ٥١].

فالإيمان بالقدر يجعل الحياة تعجّ بالأمل وتشرق بالأنوار وتهتف بالمعالي فيها معنى الحركة والإنجاز والأمل والتفاؤل الذي يجده الإنسان مبثوثاً في ثنايا القرآن حتى في لحظات انكسار المسلمين في غزوة أحد ووداع سبعين من أكابرهم وقادتهم ورجالهم في يوم رحيل الأبطال والشهداء يتنزل قول الله جل وعلا: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٣٩]، وفي لحظة صولة العدو وطيشه يأتي الأمل والتفاؤل ويتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [التوبة: ٣٢]، وحتى في لحظة يأس الرسل وإحباطهم وفتور همتهم يأتي الأمل من جديد ليبدد هذا اليأس والإحباط فينجلي العمى ويأتي النصر الذي كتبه الله وقدره فيتنزل قول الحق تبارك وتعالى: «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» [يوسف: ١١٠]، وفي لحظة انتفاخ أهل الباطل وتطاولهم يأتي القدر الإلهي ليرد عليهم فيتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» [الرعد: ١٧]، فسبحان الله المتفضل على عباده.

قال تعالى: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [الحديد: ٢٢-٢٣].

قَوْلُهُ تعالى: «مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ) قَالَ مُقَاتِلٌ:المصيبة: الْقَحْطُ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ وَالثِّمَارِ. وَقِيلَ: الْجَوَائِحُ فِي الزَّرْعِ.

(وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ) بِالْأَوْصَابِ وَالْأَسْقَامِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وقال ابن حيان: إِقَامَةُ الْحُدُودِ. وَقِيلَ: ضِيقُ الْمَعَاشِ، وَهَذَا مَعْنَى رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ. أما قوله:(إِلَّا فِي كِتابٍ) يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) الضَّمِيرُ فِي (نَبْرَأَهَا) عَائِدٌ عَلَى النُّفُوسِ أَوِ الْأَرْضِ أَوِ الْمَصَائِبِ أَوِ الْجَمِيعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْمُصِيبَةَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ وَالنَّفْسَ. (إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أَيْ خَلْقُ ذَلِكَ وَحِفْظُ جَمِيعِهِ (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هَيِّنٌ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ صَالِحٍ: لَمَّا أُخِذَ سعيد بن جُبَيْر رضي الله عنه (بالموت) بَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قُلْتُ: أَبْكِي لِمَا أَرَى بِكَ وَلِمَا تَذهب إِلَيْهِ. قَالَ: فَلَا تَبْكِ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ» الْآيَةَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ، فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. [تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨]

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمُصِيبَةِ الْحَوَادِثُ كُلُّهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِلَّا فِي كِتَابٍ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، أَيْ مَكْتُوبَةٌ فِيهِ، «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» : أَيْ نَخْلُقَهَا. بَرَأَ: خَلَقَ، وَالضَّمِيرُ فِي نَبْرَأَهَا الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْمُصِيبَةِ، لِأَنَّهَا هِيَ الْمُحَدَّثُ عَنْهَا، وَذِكْرُ الْأَرْضِ وَالْأَنْفُسِ هُوَ عَلَى سَبِيلِ مَحَلِّ الْمُصِيبَةِ. وَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى الْأَرْضِ. وَقِيلَ: عَلَى الْأَنْفُسِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَجَمَاعَةٌ. وَذَكَرَ الْمَهْدَوِيُّ جَوَازَ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهِيَ كُلُّهَا مَعَارِفُ صِحَاحٌ، لِأَنَّ الْكِتَابَ السَّابِقَ أَزَلِيٌّ قَبْلَ هَذِهِ كُلِّهَا. انْتَهَى. «إِنَّ ذَلِكَ» : أَيْ يَحْصُلُ كُلُّ مَا ذُكِرَ فِي كِتَابٍ وَتَقْدِيرُهُ، « عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» :أَيْ سَهْلٌ، وَإِنْ كَانَ عَسِيرًا عَلَى الْعِبَادِ.

الحكمة في معرفتنا أن كل شيء مكتوب

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ فِي إِعْلَامِنَا بِذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مِنْ تَقْدِيرِ ذَلِكَ، وَسَبْقِ قَضَائِهِ بِهِ فَقَالَ: لِكَيْلَا تَأْسَوْا: أَيْ تَحْزَنُوا، عَلَى مَا فَاتَكُمْ، لِأَنَّ الْعَبْدَ إِنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ سَلَّمَ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا أخطاه لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، فَلِذَلِكَ لَا يَحْزَنُ عَلَى فَائِتٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِصَدَدِ أَنْ يَفُوتَهُ، فَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ حَوَادِثِ الدُّنْيَا بِذَلِكَ، إِذْ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ. وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «لكيلا تحزنوا على ما فاتكم» : أَنْ يُلْحِقَ الْحُزْنَ الشَّدِيدَ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ الْخَيْرِ، فَيَحْدُثُ عَنْهُ التَّسَخُّطُ وعدم الرضا بالمقدور. [البحر المحيط في التفسير ١٠/ ١١١]

. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ نُفَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - «وهم نفاة القدر، وَفِي الْحَدِيثِ: «لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الَّذِين يَقُولُونَ لَا قدر». [رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥١٦٣].

وَقد ظَهرت بِدعَة الْقدر بشكل وَاضح فِي أَوَاخِر زمن الصَّحَابَةِ، وَيُقَالُ: إِن أول من تكلم بِالْقدرِ نَصْرَانِيّ من أهل الْعرَاق أسلم ثمَّ تنصر، وَأخذ عَنهُ معبد الْجُهَنِيّ، وروى مُسلم عَن يحيى بن يعمر قَالَ: «كَانَ أول من تكلم فِي الْقدر بِالْبَصْرَةِ معبد الْجُهَنِيّ»، وَحَاصِل قَوْلهم فِي الْقدر هُوَ إِنْكَار علم الله السَّابِق بالحوادث، وَأَن الْعَبْد هُوَ الَّذِي يخلق فعل نَفسه، فأثبتوا بذلك مَعَ الله خَالِقًا آخر، وهم ضد الجبرية». [فتح الباري ١/ ١٩].

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ «. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

كيفية الإيمان بالقدر

قَالَ عِكْرِمَةُ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا الْفَرَحَ شُكْرًا وَالْحُزْنَ صَبْرًا.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ الْمَوْتَ فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ قَالَ: اجْلِسْ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قُلْتُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، دَخَلْتَ النَّارَ «.(حسن). [الشريعة للآجري ١/ ٥١٤]

- فالمرء إذا نظر نظرة إيمانية ترد القلوب إلى حقيقة القدر المسيطرة على الوجود: « مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [الحديد: ٢٢- ٢٣].. كي تستقر النفس وتطمئن لما يصيبها من خير أو شر، وهي في طريقها إلى الله. فلا تطير جزعا، ولا تبطر فرحا، وهي تواجه الضراء والسراء. ولا تشرك بالله سببًا ولا ظرفا ولا حادثًا.

فكله بقدر مقسوم لأجل معلوم. ومرد الأمر كله في النهاية إلى الله.

نموذج من الأسى على ما فات

لما حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداء الله في غزوة أُحُد؛ أمر بعض أصحابه أن يرتقوا جبل الرماة، ويمكثوا عليه فلا ينزلوا إذا انتصر المسلمون أو انهزموا، لكن بعضهم اجتهد لمَّا رأى الحرب قد انتهت بفوز المسلمين وهزيمة المشركين ووثوب القوم على الغنائم يجمعونها ؛ فنسي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بعدم مغادرة الجبل، فلما نزلوا انقض نفر من المشركين واحتل الموقع الأعلى من الجبل فتمكنوا من رمي المسلمين وإصابتهم، فانقلبت المعركة من نصر للمسلمين إلى هزيمة، عندها انتبه المسلمون وفروا هاربين، وقال الله تعالى لهم: «أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا» [آل عمران: ١٦٥]؟ أي كيف حدث هذا؟ قال الله تعالى: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ» [آل عمران: ١٦٥].

وقال الله تعالى أيضًا لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يومها: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [آل عمران: ١٥٣].

– «تُصْعِدُونَ» الإصعاد يكون في مستوىً من الأرض، والصعود في ارتفاع، وروي عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنهم صعدوا إلى الجبل فراراً. «يَدْعُوكُمْ» يقول: يا عباد الله ارجعوا. «غمًّا بغَم» على غم، أو مع غم، الغم الأول: القتل والجرح، والثاني: الإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو غم يوم أُحد بغم يوم بدر. «مَا فَاتَكُمْ» من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة. [تفسير العز بن عبد السلام ١/ ٢٨٨].

« لِكَيْلا تَحْزَنُوا» عَلى مَا فاتَكُمْ من الفتح والغنيمة « وَلا ما أَصابَكُمْ» من القتل والهزيمة وَاللَّهُ خَبِيرٌ بما تَعْمَلُونَ. وكل شيء بقدره وتدبير وأمره.

نموذج من الفرح المذموم بما يؤتاه الإنسان

ليس من إنسان إلا ويفرح ويحزن، لكن ينبغي أن يكون فرحه شكرًا، وحزنه صبرًا.

فهذا قارون الباغي الملعون يقص الله تعالى علينا قصته:

قال المولى جل وعلا: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» [القصص: ٧٦-٧٨].

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ جَوَابِ قَارُونَ لِقَوْمِهِ حِينَ نَصَحُوهُ، وَأَرْشَدُوهُ إِلَى الْخَيْرِ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أي لَا أَفْتَقِرُ إِلَى مَا تَقُولُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ لِعلمه بِأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ وَلِمَحَبَّتِهِ لِي، فَتَقْدِيرُهُ إِنَّمَا أُعْطِيتُهُ لِعلم اللَّهِ فِيَّ أَنِّي أَهْلٌ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» [الزُّمَرِ: ٤٩] أَيْ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ بِي، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: « وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي» [فُصِّلَتْ: ٥٠] أَيْ هَذَا أَسْتَحِقُّهُ. [تفسير ابن كثير ط العلمية ٦/ ٢٢٨]

الفرح الحقيقي:

قال الخلاق العليم جل شأنه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٧-٥٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ» قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِيمَانُ، وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: فَضْلُ اللَّهِ الْقُرْآنُ وَرَحْمَتُهُ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: تَزْيِينُهُ فِي الْقَلْبِ.

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: السُّنَنُ.

وَقِيلَ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِيمَانُ، وَرَحْمَتُهُ: الْجَنَّةُ. [تفسير البغوي – طيبة ٤/ ١٣٨]

نسأل الله الإيمان والسلامة والعافية والحمد لله رب العالمين.

شبهات حول الصحابة

موقف أهل السنة من الـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعدُ:

فإن موقف أهل السنة من الحروب التي دارت بين الصحابة الأبرار هو الكف والإمساك عما شجر بينهم، إلا فيما يليق بمكانتهم ومنزلتهم؛ وذلك لما يفضي إليه ذلك الخوض من العداوة والبغضاء التي قد تتولد لطرف على حساب طرف آخر، في حين أن الواجب على كل مسلم تجاه الصحابة أن يترضى ويترحم عليهم جميعًا، ويعرف لهم سبقهم وفضائلهم، وينشر مناقبهم ويذبّ عن عِرْضهم، فضلاً عن حبهم وسلامة القلب من بغضهم والحقد عليهم؛ ذلك لأن ما حدث منهم نتج عن تأويل واجتهاد، والجميع مثابون عليه، ويدورون فيه بين الاجر والاجرين وأن القاتل والمقتول منهم في الجنة، وإليك أخي طائفة من أقوال أهل العلم التي تبين ذلك المعتقد:

١- سُئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عن القتال الذي وقع بين الصحابة، فقال: «دماء طهّر الله يدي منها، أفلا أطهّر منها لساني، مَثَل أصحاب رسول الله مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها». [الإنصاف للباقلاني ص٦٩].

وقد علق البيهقي - رحمه الله - على قول عمر بن عبد العزيز بقوله: هذا حسن جميل ؛ لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب. [مناقب الشافعي ص١٣٦].

٢- سُئل الحسن البصري - رحمه الله - عن قتال الصحابة؟ فقال: «قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغِبْنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا». ومقصوده -رحمه الله- أنهم كانوا أعلم بما وقعوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا فيه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيًا؛ ذلك لأنهم غير متهمين في دينهم. [الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٣٢].

٣- سُئل جعفر الصادق رحمه الله عما وقع بين الصحابة، فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: «قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى» [طه: ٥٢].

٤- سُئل الإمام أحمد - رحمه الله -: ما تقول فيما كان بين عليّ ومعاوية - رضي الله عنهما - فأعرض عن السائل، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه، وقال: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [البقرة: ١٣٤]. (مناقب أحمد: ص١٦٤).

٥- قال الباقلاني: ويجب أن يُعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المشاجرة نكفّ عنهم، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليًا أصاب فيما فعل وله أجران، وأن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر، فلا يفسّقون ولا يبدّعون، قال الله سبحانه: «لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» [الفتح: ١٨]، وإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده، فما ظنك باجتهاد من

الحروب التي وقعت بين الصحابة

رضي الله عنهم ورضوا عنه؟!!

ومما يدل على صحة هذا القول قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [رواه البخاري]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لها بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله جل شأنه: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ» [الحجر: ٤٧]. (الإنصاف: ٦٧/٦٩).

٦- قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله -: أما ما شجر بينهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم فمنه ما وقع عن قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد صاحبه معذور، وإن أخطأ فهو مأجور أيضاً. [الباعث الحثيث ص١٨٢].

٧- قال ابن حجر رحمه الله: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم، ولو عرف المحق منهم فإنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد: فالمصيب له أجران، والمخطئ له أجر. [فتح الباري: ١٣/٣٤].

٨- قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: إن ما ورد من آثار مروية في مساويهم منها ما زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح أنهم معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. [الإنصاف: ٦٧].

ذلك فضلاً عن قول رب العالمين: «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

بقلم/ أسامة سليمان

الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية أمر من الله سبحانه بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم من قتال لا يُخرجهم عن وصف الإيمان؛ حيث سماهم رب العالمين مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اقتتلوا في الجمل وغيرها أول من يدخلون في اسم الإيمان الذي ذُكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقيًا، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان اجتهاد. [العواصم من القواصم ص١٦٩].

وفي حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تمرق مارقة عند فُرْقة من المسلمين، تقاتلهم أولى الطائفتين بالحق». [رواه مسلم].

والفُرْقَة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الطائفتين بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث عَلَم من أعلام النبوة، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين – أهل العراق وأهل الشام – لا كما يزعم الرافضة – عليهم من الله ما يستحقون- من كفر أهل الشام. [د. علي الصلابي، خلافة علي ص٥١٢].

الخلاصة: أن أهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان، والترحم عليهم وحفظ فضائلهم، والاعتراف لهم بالسبق، ونشر محاسنهم.

ومن الأمور المهمة في ذلك الصدد أن نحذر من بعض الكُتب التي شوّهت تاريخ الصحابة:

١- «الإمامة والسياسة»، لابن قتيبة: وهذا الكتاب من أكثر الكُتب تشويهًا لتاريخ الصحابة وصدر الإسلام، وقد أثبت كثيرٌ من أهل العلم أن الكتاب منسوب إلى ابن قتيبة ظلمًا وزورًا، وساقوا الأدلة على ذلك منها:

- أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يحمل هذا الاسم.

- أن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- أن منهج الكتاب يختلف عن منهج ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا.

- أن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة في كتبه ليس لهم ذكر في هذا الكتاب فضلاً عن أن الكتاب فيه روايات عن علماء مصر وابن قتيبة لم يزر مصر.

ومؤلف «الإمامة والسياسة» قدح في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحًا عظيمًا، فصوَّر ابن عمر جبانًا، وسعد بن أبي وقاص حسودًا، وعائشة هي التي أمرت بقتل عثمان!! وهذا ديدن الرافضة ومنهجهم؛ لذا نحذر من هذا الكتاب؛ لأنه من المؤكد لرافضي محترق.

٢- «نهج البلاغة»: وهو من الكُتب التي تشوّه تاريخ الصحابة أيضًا، وهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وهذا الكتاب خلا من السند، قال شيخ الإسلام: «وأهل العلم يعلمون أن أكثر هذا الكتاب خطب مفتراة على عليٍّ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم وليس لها سند معروف». [«منهاج السنة» ٤/٢٤].

وقد اشتمل هذا الكتاب على أقوال تناولت الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق بهم، وقد اتهم العلامة ابنُ حجر الشريف المرتضى بوضعه، وقال: «من طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ وأكثره باطل»، وقال الذهبي: «من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين رضي الله عنه، ففيه السبّ الصريح، والحط من السيدين أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما».

٣- كتاب «الأغاني» للأصفهاني: وهو كتاب أدب وسمر وغناء، ليس كتاب علم وتاريخ وفقه، والكتاب فيه من الكذب الواضح والطعن بالمعايب، وقد قام وليد الأعظمي بفضح الكتاب في كتابه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني».

قال الخطيب البغدادي: «كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ثم تكون كل روايته منه». [«تاريخ بغداد» ١١/٣٩٨].

وقال ابن الجوزي: «ومثل الأصفهاني لا يوثق بروايته، يصرّح في كتبه ما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، ومن تأمل الكتاب وجد كل قبيح ومنكر». [«المنظم» ٧/٤١].

فخذ حذرك من تلك المصنفات؛ لأنها كان لها أثر على بعض الكتاب المعاصرين الذين نقلوا منها كحاطب ليل دون تمييز بين الصحيح والضعيف، كطه حسين، والعقاد، وعبد الوهاب النجار، وحسن إبراهيم حسن، وغيرهم.

نسأل الله تعالى من فضله، والله من وراء القصد.

تحذير الداعية من القصص الواهية



قصة منكرة على سعد بن معاذ رضي الله عنه في تقصيره في الطهور من بوله

الحلقة (١٤٢)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت، وإن تعجب فعجب أن الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس، واهتز العرش لموته يُتَّهم بأنه لا يُحسن الطهور من بوله، وأنه كان مقصرًا في الطهور!!!

ألم يدر مَن ينشر هذه القصة المنكرة أن القصة طعن في السابقين الأولين من أنصار خاتم النبيين؟!

ألم يعلم أن الطهارة مرتبطة بالإيمان! فقد ثبت في «صحيح مسلم» ح(٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان». الحديث.

بل والأعجب أن الأزهر الشريف (حفظه الله من هذه المنكرات) جعل هذه القصة المنكرة من مقررات الشهادة الثانوية الأزهرية على أنها حقيقة ثابتة؛ حيث تدرَّس عليهم في كتاب «المطالعة الأزهرية» للصف الثالث الثانوي أدبي ص(٥٧) بغير تخريج ولا تحقيق.

وهذا الصنيع لا يليق بمكانة الأزهر الشريف - قطاع المعاهد الأزهرية.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة؛ حتى يقف الجميع على حقيقة هذه القصة التي تطعن في الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

أولا: متن القصة

جاء في كتاب «المطالعة الأزهرية» (ص٥٧) للصف الثالث الثانوي أدبي لعام (١٤٣٢-١٤٣٣هـ - ٢٠١١- ٢٠١٢م) ذكر هذه القصة المنكرة:

«لما دُفن سعد بن معاذ رضي الله عنه وشيّعه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة والملائكة، فسبح صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، ولما سبَّحت؟

قال: «لقد تضايق على هذا العبد قبره حتى فرّجه الله عنه».

وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟

فقال: «كان يقصِّر في الطهور من البول». اهـ.

قلت: هكذا جاءت القصة بالكتاب، وهي

من المواضيع المقررة على طلبة الثانوية الأزهرية أدبي، دون تخريج أو تحقيق!!

قصة الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه في الطهور من البول أخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» ص(٣٠) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا؟ فقالوا: ذُكِرَ لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن ذلك، فقال: «كان يُقصر في بعض الطهور من البول». اهـ.

ثالثًا: التحقيق

العلة الأولى: أحمد:

١- لقد ذُكر الاسم مجردًا من اسم الأب والجد كذلك والنسب والكنية، مما يحتم التثبت خاصة وأن عدد الرواة في الكتب الستة ممن اسمه أحمد بلغ (١٥١) راويًا كما في «تقريب التهذيب» (١/٢٩).

٢- ولكي نحدد مَن اسمه أحمد في سند هذا الخبر، نبحث فيمن اسمه أحمد وشيخه الذي روى عنه اسمه يونس حتى نقيِّد هذا الإطلاق.

٣- ولكن يونس في سند خبر القصة ذُكر مجردًا من اسم الأب والجد، كذلك النسب والكنية وبالبحث في يونس الذي روى عن محمد بن إسحاق بن يسار كما في السند تبين أنه يونس بن بكير الشيباني كذا في «تهذيب الكمال» (١٦/٧٠/٥٠٤٤).

٤- والبحث فيمن روى عن يونس بن بكير الشيباني ممن اسمه أحمد تبين أنهما اثنان:

الأول: أحمد بن عبد الجبار العطاردي.

والثاني: أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، كذا في «تهذيب الكمال» (٢٠/٥٢٧/٧٧٦٥).

طريقة التفريق

٥- ولما كان الأول: ضعيفًا، والآخر: صدوقًا. كان لابد من التحديد خاصة وأنهما مشتركان في الشيخ ولكي يفرق بينهما نبحث فيمن روى عنه أبو العباس ؛ حيث إن سند خبر القصة: «حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا أحمد قال حدثنا يونس» فقيّد أحمد بمن روى عنه أبو العباس.

٦- وبالبحث نجد أن الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١/١٨٤/٦٢) قال: «أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي:

روى عن: يونس بن بكير الشيباني وآخرين.

وروى عنه: أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري وآخرون». اهـ. وبهذا يتبين أن علة الحديث: «أحمد بن عبد الجبار العطاردي».

قلت: وهذا من أهم أبحاث علم الحديث التطبيقي عندما يتفق الراويان في الاسم ويشتركان في بعض الشيوخ ويكون أحدهما ضعيفًا والآخر ثقة، فيصحح ما هو ضعيف أو بالعكس، ولذلك قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٥٤): «وزلق بسببه غير واحد من الأكابر ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط». اهـ.

١- قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٦٣): «أحمد بن عبد الجبار العطاردي الكوفي، روى عن يونس بن بكير، كتبت عنه وأمسكت عن التحديث عنه؛ لما تكلم الناس فيه». اهـ.

٢- قال الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعيف الرجال» (١/١٩١) (٣٠/٣٠): «أحمد بن عبد الجبار، أبو عمر العطاردي الكوفي، رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه، وكان أحمد بن محمد بن سعيد لا يحدّث عنه لضعفه، وذكر أن عنده قمطرًا، على أنه لا يتورع أن يحدث عن كل أحد». اهـ.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/١١٢/٤٤٣): «أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعفه غير واحد، وقال مُطين: كان يكذب». اهـ.

العلة الثانية: «يونس بن بكير».

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤٧٧/٩٦٠٠):

١- يونس بن بكير وواصل الشيباني الكوفي الحمال روى عن ابن إسحاق وعنه أحمد العطاردي، وعدة.

٢- وقال أبو داود: ليس بحجة عندي؛ كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث.

٣- وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ضعيف.

٤- وقال الجوزجاني: ينبغي أن يتثبت في أمره.

٥- وقال العجلي: كان يونس على المظالم لجعفر بن برمك ضعيف الحديث.

٦- وقال ابن المديني: قد كتبت عنه ولست أحدث عنه. اهـ.

قلت: ولقد أقر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١١/٣٨٣) هذه الأقوال التي نقلها الإمام الذهبي عن علماء الجرح والتعديل.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٣٨٤): «يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الحمال الكوفي يخطئ من التاسعة». اهـ.

قلت: وحتى لا يتقول علينا متقول فيقول: يونس بن بكير روى له مسلم في صحيحه.

والرد عليه: أن الإمام مسلم لم يرو له احتجاجًا، ولكن روى له متابعة؛ ولذلك يجب التمييز بين من روى له مسلم احتجاجًا وبين من روى له متابعة، ولذلك قال الإمام الذهبي في الميزان (٤/٤٧٧/٩٩٠٠): «يونس بن بكير [م، تبعا، د، ت، ق]. اهـ.

قلت: معنى هذه الرموز أن يونس بن بكير روى له

مسلم متابعة لا احتجاجًا، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

بيان حقيقة ما قاله الإمام الذهبي

١- قال الإمام المحدث ابن مُنجويه في «رجال صحيح مسلم» (١٨٩٧/٣٦٩/٢): «يونس بن بكير الشيباني، الكوفي، روى عن: هشام بن عروة-في الإيمان، وروى عنه محمد بن عبد الله».

قلت: بهذا يتبين أن الإمام مسلم روى له حديثًا واحدًا في صحيحه عن هشام بن عروة.

ولكي تتبين الطريقة التي روى بها الإمام مسلم عن يونس بن بكير في صحيحه نقوم بتخريج الحديث من صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان، فنجد أن الحديث في كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ» (ح٢٠٥) قال: «حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع ويونس بن بكير، قالا: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما نزلت: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم». اهـ.

قلت: فلينظر الباحث إلى دقيق منهج الإمام مسلم في علو الإسناد؛ حيث قدم وكيع بن الجراح ثم تبعًا له يونس بن بكير كما في الإسناد «حدثنا ابن نمير، حدثنا وكيع ويونس بن بكير، قالا: حدثنا هشام بن عروة» لأنه قدم وكيع بن الجراح؛ حيث روى له احتجاجًا ثم يونس بن بكير حيث روى له متابعة، والاثنان عن هشام بن عروة حيث نجد الفعل مثنى (قالا: حدثنا هشام) ليدل على هذه المتابعة.

ورواية مسلم له احتجاجًا سببها يُعرف من قول الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢٨٤/٣٠٦/١): «وكيع بن الجراح بن مليح الإمام الحافظ الثبت محدث العراق» أبو سفراء الرواسي أحد الأئمة الأعلام. اهـ.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٣١/٢): «وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي أبو سفيان الكوفي ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة». اهـ.

بينما قال الحافظ «يونس بن بكير الكوفي يخطئ من التاسعة».

قلت: وهذا من دقيق فقه منهج الإمام مسلم في صحيحه، ومن لا يعرف هذا المنهج يصحح أي سند به رجل من رجال صحيح مسلم، بل قد يقول على شرط مسلم، وهذا الصنيع وقع فيه الكثير لعدم درايته بمنهج مسلم.

العلة الثالثة

محمد بن إسحاق بن يسار، روى عنه يونس بن بكير الشيباني كذا في «تهذيب الكمال» (٥٦٤٤/٧٠/١٦)، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧١٩٧/٤٦٨/٣) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

١- قال أبو داود: قدري معتزلي.

٢- وقال سليمان التيمي: كذاب.

٣- وقال أحمد: كثير التدليس جدًا.

٤- وقال يحيى القطان: أشهد أن محمدًا بن إسحاق كذاب.

٥- وروي عن حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

٦- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري، ومالك يجرحان ابن إسحاق».

٧- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس قال: كنت عند مالك فقيل له: إنَّ ابن إسحاق يقول: «اعرضوا عليَّ علم مالك، فإني بيطاره، فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة».

قلت: وهذه بعض أقوال من وهّاه وجرحه من أئمة الجرح والتعديل وهناك البعض ممن وثقه.

ولكن القاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل» خاصة وأن التجريح ظاهر في الإسناد وفي الاعتقاد، ولذلك أورد الإمام الذهبي من مناكيره في «الميزان» (٤٧٣/٣) عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن ابن عمر، أنه بعث إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فكتب إليه نعم رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة: مَلك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر في روضة خضراء دونه فراش من ذهب». اهـ.

قلت: وسند هذا الخبر المنكر متفق في علتين مع سند قصة سعد بن معاذ في تقصيره في الطهور من بوله: يونس بن بكير عن ابن إسحاق لذلك قال الإمام الدارقطني: «لا يُحتج به». اهـ.

لذلك ما احتج به الإمام البخاري في صحيحه، وكذلك لم يرو له الإمام مسلم احتجاجًا، ولكن روى له خمسة أحاديث استشهادًا؛ لأن ما انفرد به ففيه نكارة. اهـ. كذا في «الميزان» (٤٧٥/٣).

قلت: من هذه العلل الثلاثة التي أوردناها آنفًا يتبين شدة ضعف هذه الرواية، فكل علة تزيد الأخرى ضعفًا على ضعف.

العلة الرابعة

وهناك علة رابعة تتبين من السند الذي جاءت به القصة ففيه: «حدثنا أحمد، قال: حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم سئل عن ذلك فقال...» القصة.

١- فالعلة: جهالة الإبهام تتبين من السند «سأل بعض أهل سعد»، وهذا إبهام في السند حيث إن الراوي أمية لم يصرح باسم من روى عنه من أهل سعد؛ حيث يسألهم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- وهذا النوع من المجهول لحديثه اسم خاص هو «المبهم»، قال البيقوني في منظومته: «ومُبهم ما فيه راو لم يُسم».

٤- وحكم روايته: عدم القبول، وسبب رد روايته جهالة عينه؛ لأن من أبهم اسمه جُهلت عينه وجُهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته.

العلة الخامسة: جهالة أخرى مركبة على الجهالة الأولى

يتبين ذلك من المبهمين من أهل سعد قالوا: «ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل...» بصيغة المبني للمجهول، وهذا أيضًا مبهم.

وهذا يدل على جهالة الذين ذكروا للمبهمين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال».

وبهذا يصبح سند القصة تالفًا مسلسلاً بالعلل من الضعفاء الذين لا يُحتج بهم والكذابين والمجهولين المبهمين.

ولذلك أورد هذه القصة الحافظ ابن كثير عن البيهقي وضعفها؛ حيث قال في «البداية والنهاية» (٤٨٢/٣): «وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته قصة سعد رضي الله عنه في القبر أثرًا غريبًا..». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله - فإذا أورد الحافظ ابن كثير خبرًا عزاه إلى الإمام الذي أخرجه فإذا كان الخبر شديد الضعف قال: «ذكر فلان أثرًا غريبًا». وهذا منهج الحافظ ابن كثير بالنسبة لهذا المصطلح، وهذا بالاستقراء عندما يذكر أثرًا غريبًا في «البداية والنهاية» بل وفي «تفسيره»، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- هذه القصة الواهية التي أوردها في «البداية والنهاية» وعزاها إلى الإمام البيهقي، كما بينا آنفًا.

٢- وقصة أخرى واهية - إن شاء الله - سنقوم بتحقيقها وهي قصة جبل ق التي أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره في صدر سورة ق، وعزاه إلى الإمام ابن أبي حاتم وقال: «إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد هاهنا أثرًا غريبًا». اهـ.

قلت: وعند أهل الصنعة أن هذا المصطلح الذي يطلقه الحافظ ابن كثير ينطبق تمام الانطباق على القسم الثاني من أقسام الغريب من حيث الصحة يتبين ذلك من قول الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٣١) قال: «إن الغريب ينقسم إلى: صحيح كالأفراد المخرجة في «الصحيح» غير صحيح، وذلك هو الغالب على الغرائب، وروينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال غير مرة: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

وهذا ينطبق على هذه القصة فإنها من الغرائب كما قال الحافظ ابن كثير وهي منكرة ومسلسلة بالعلل من ضعفاء وكذابين ومجاهيل، وبهذا التحقيق يسلم الصحابي الجليل سعد بن معاذ من هذه الفرية، فرية أنه كان يقصر في الطهور من البول، والتي جُعلت سببًا في تعذيبه في قبره حتى سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وسبح الناس معه، ثم كبر وكبر القوم معه، حتى فرج الله عنه.

إن الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه فوق هذه القصص الواهية التي تدرس مقررة على الشهادة الثانوية الأزهرية في معاهد الأزهر الشريف، حفظه الله.

٣- لقد رضي الله عنه سبحانه عن الصحابي الجليل سعد بن معاذ الذي أكرمه الله تعالى يوم موته كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٠٣) والإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٤٦٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». اهـ.

٤- ومن البشريات التي هي من النبوة ومن مناقب الصحابي الجليل سعد بن معاذ ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٠٢) والإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٤٦٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حُلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين». اهـ.

٥- وأخرج البخاري ح(٣٢٤٨)، ومسلم ح(٢٤٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم جُبّة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». اهـ.

هذا هو الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس: «وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

القصة في كتاب الله

أصحاب الفيل «١»

أصحاب الفيل بين المفسرين والمؤرخين

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فهذه قصة أصحاب الفيل التي وقعت عام مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فصارت تاريخًا للعرب وبداية لتاريخ جديد وعهد جديد عظمت فيه مكانة البيت الحرام ومكة المكرمة، وزادت مكانة قريش بين الناس سموًا وارتفاعًا.

قصَّها القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم مذكرًا بنعمة الله عليه وعلى قومه، فصارت القصة حديث المؤرخين وأهل السِّيَر؛ لأنها آية كونية عدّها المؤرخون من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنها أيضًا حديث المفسِّرين باعتبارها من الآيات القرآنية، فهي معجزة كونية.

وقبل حديثنا عنها في سياقها كما جاءت في كتاب الله نشير إلى بعض ما ذكره المؤرخون عنها لأهميته، وهذا القسم الأول كما يلي:

أولاً: هي من آيات الله الباهرة ومن شواهد النبوة الظاهرة.

قال الماوردي - رحمه الله - في أعلام النبوة: «آيات الملك باهرة، وشواهد النبوة ظاهرة، تشهد مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل بحق، وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها، ولما دنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاظرت آيات نبوته، وظهرت علامات بركته، فكان من أعظمها شأنًا وأشهرها عيانًا وبيانًا أصحاب الفيل، وقد أنفذهم النجاشي بقيادة أبرهة الأشرم إلى مكة لقتل رجالها وسبي ذراريها وهدم الكعبة، وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في بطن أُمه بمكة، لأنه ولد بعد خمسين يومًا من الفيل فكانت آيته في ذلك من وجهين:

أحدهما: أنهم لو ظفروا بقريش لسبوا واسترقوا، فأهلكهم الله صونًا لرسوله أن يجري عليه السَّبْيُ حملاً ووليدًا.

والثاني: لم يكن لقريش من الصلة بالله والعبادة ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، فلم يكونوا أهل كتاب بل كانوا عابدي أوثان، لكن الله أراد حماية بيته؛ تهيئةً لظهور الإسلام وتأسيسًا للنبوة وتعظيمًا للكعبة، ولذلك لما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم وعظموه، وزادت حرمته في النفوس ودانت لقريش بالطاعة. انتهى باختصار وتصرف يسير.

ثانيًا: ذكر الإمام الماوردي أيضًا سؤالاً وأجاب عنه:

والسؤال هو: «فإن قيل: فكيف منع الله الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكًا، ولم يمنع الحجَّاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكًا؟».

والإجابة: «أن ما فعله الحجاجَ وغيرُه كان بعد استقرار الدين، فاستغنى عن آيات تأسيسه؛ وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوّة، ومجيء الرسالة، هذا وقد أخبر الرسول وأنذر بهدمها فصار الهدم آية على صدق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فلذلك اختلف حكمها في الحالتين، والله أعلم». اهـ بتصرف.

ثالثًا: نقل الإمام القاسمي في تفسيره عن القاشاني قوله: «قصة أصحاب الفيل مشهورة ووقعت قريبة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحدى آيات قدرة الله، وأثر من آثار سخطه على من اجترأ على هتك حَرمه، وإلهام الطيور والوحوش أقرب من إلهام الإنسان بكون نفوسهم ساذجة، وتأثير الأحجار بقدرة الله تعالى أمر ليس بمستنكر، ومن اطلع على عالم القدرة لزال عنه حجاب الغفلة».

ولعله يشير بل هو يشير إلى الطير الأبابيل التي أرسلها الله على الجند تحمل حجارة من سجيل، وكيف ألهمها الله ووجهها، وإلى الفيل الذي توقف عن التقدم نحو البيت وكيف حُبس؟ ولماذا؟

ومن وراء ذلك كله قدرة أحكم الحاكمين الذي له جنود السماوات والأرض، فالطير من جنده والوحوش من جنده والجبال والأرض والسماوات والأنهار والبحار والرمال والريح.... وما علمنا وما لم نعلم فله سبحانه وتعالى جنود السماوات والأرض، فسبحان من سبح الطير بحمده، وسبح بحمده الأرض والسماوات والجبال والشجر، قال تعالى: «تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» [الإسراء: ٤٤]. وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ» [النور: ٤١].

وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ» [الحج: ١٨]، وهكذا الكون كله خاضع لجلال الله بأرضه وسمائه وبحاره...

رابعًا: القصة مختصرة من كُتب السيرة:

نستطيع بعون الله أن نوجز القصة فيما يلي:

لما غلب أبرهة الحبشي على بلاد اليمن، ورأى الناس يقصدون مكة زرافات ووحدانًا ورجالاً وركبانًا، قال: إلام يقصدون؟ قالوا له: إلى الكعبة بمكة يحجون، قال: وما هو؟ قالوا: بيت من الحجارة وكسوته ثياب يمنية، قال: لأبنينّ خيرًا منه.

وبنى أبرهة كنيسة ضخمة تفنن في بنائها وتزيينها وسماها «القُليس»؛ قاصدًا بذلك صرف العرب عن الكعبة وعن مكة.

ولكن رجلاً من بني كنانة عمد إليها فتغوَّط فيها؛ سخريةً من أبرهة وفعله؛ فلما علم أبرهة استشاط غضبًا، وعزم على هدم الكعبة، وسار بجيش لا قِبَل لأهل مكة والعرب به، وفي طريقه إلى مكة تعرضت له بعض القبائل لكنه تغلب عليها.

وعند مشارف مكة وجدوا إبلاً لعبد المطلب بن هاشم، فاستاقوها.

ذهب إليه عبد المطلب وكان رجلاً وسيمًا مهيبًا، فاستعظمه أبرهة وأكرمه، فلما كلمه في الإبل، عجب وقال له: أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك وشرف آبائك؟

فقال عبد المطلب: «أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه».

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، ومما قال:

لاهم إن المرء يمنع
رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب
وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا
فأمر ما بدا لك

انطلق أهل مكة إلى الجبال ينظرون ما سيحدث.

كان في جيش أبرهة فيل عظيم كلما وجّهوه إلى الطريق المؤدي إلى مكة أبى وبرك منهم في الأرض، وإذا وجّهوه إلى غير طريق مكة أسرع وانطلق.

ومع ذلك أصرَّ أبرهة وجيشه على التقدم نحو الكعبة لهدمها، وهنا أرسل الله عليهم جماعات من الطير تحمل حجارة معينة ترمي بها الجند، فكان الحجر يدخل من رأس الرجل ويخرج من مؤخرته فيهلكه.

ونكّل الله بأبرهة وجيشه شر تنكيل، فقُتل منهم من قُتل، وهرب منهم من هرب، وحفظ الله بيته، ولم يمكّنهم منه وقريش تنظر.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين». رواه الشيخان.

وذلك لأن أبرهة وجنده أرادوا بمكة سوءًا فأهلكهم الله، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفتحها خيرًا مكّنهم الله وأعانهم ونصرهم.

خامسًا: المشككون في القصة:

مع تواتر الأخبار عن هذه القصة وذكرها في القرآن في السورة المشهورة «سورة الفيل»، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم عنها في الصحيح من حديثه، فإنك تعجب حين ترى بعض المستشرقين يشكك في صحتها، ويتبعهم في ذلك بعض من تأثر بهم ممن كتب في السيرة أو في التفسير، ويحاول حمل آيات القرآن على غير ظاهرها بتأويل متكلف يجانبه الصواب، ولقد انبرى كثير من المحققين للرد على هؤلاء المرجفين ومنهم د. محمد أبو شهبة - رحمه الله - قال في كتاب السيرة النبوية الجزء الأول، قال: «ويشكك بعض المستشرقين ومن نهج نهجهم من كتاب المسلمين في هذه القصة، مع ثبوتها بالتواتر المفيد للقطع واليقين بإجماع أهل الملل والعقول، ويقولون: إن هلاك الجيش كان بسبب انتشار مرض الجدري في الجيش، واعتمدوا على خبر ذكره ابن إسحاق بعد ما ذكر القصة على ما وردت في الكتاب الكريم. قال: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: «أن أول ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام».

فليس فيما ذكره ما يدل على أن هلاكهم كان بهذا وإلا لما ذكر ابن إسحاق القصة المعتمدة في بضع صفحات، ولم لا تكون الحصبة والجدري كانتا بسبب ما أصابهم من جراح كما هو مشاهد ومعروف من انتشار بعض الأمراض والأوبئة عقب الحروب والجوائح، ولو سلمنا بهذا الرأي لقائله، فكيف يرجَّح رأي ضعيف يعارض ظاهر القرآن على رأي صحيح يشهد له ظاهر القرآن؟!

الحق أن هذا التشكيك ليس له ما يبرره، أما إنكار ما قصه القرآن وقد كان من المشهودات عند العرب واستعظامه على قدرة الله سبحانه وتعالى، فأثر من ضعف الإيمان واليقين، ولوثة سرت إلى بعض المستشرقين.. ومن سار سيرتهم». اهـ.

والحق نقول: يكفي أن القرآن ذكرها، وأن الرسول ذكرها في خبره الصحيح، والخبر الذي أورده ابن إسحاق وتمسك به من تمسك خبر في إسناده ضعف، فيه جهالة شيخ ابن عتبة.

وإني لا ألوم المنصرين الذين سُمُّوا بالمستشرقين، فأغراضهم معروفة إلا من رحم الله، ولكن اللوم كل اللوم يقع على مَنْ تبعهم من المسلمين: « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ » [آل عمران: ٨].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية



القرآن شفاء

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الغاية التي من أجلها أنزل الله القرآن الكريم، وأمر الناس باتباعه والإيمان به، هي الاهتداء بهديه، والالتزام بتعاليمه وآدابه، قال تعالى عن هذا القرآن: « يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » [المائدة: ١٦]. فالواجب علينا الإيمان به، والعمل بما فيه، والعناية بتلاوته، وتفهم معانيه على الوجه الأكمل الذي يرضي الله عز وجل.

وتحقيقًا لهذه الغاية اجتهد العلماء قديمًا وحديثًا في تدبُّر كتاب الله، والعمل بتفسيره، والتفكر في مدلولاته، والوقوف على هدايته، ومن الأمور التي وقفوا عليها «تأثير القرآن الكريم أو بعض سوره وآياته في جلب المنافع ودفع المضار أو رفعها، فقد يحصل للبعض بقراءة أو كتابة سورة، أو آيات معينة خاصية يكرمه الله بها؛ نظرًا لما أثبته الله تعالى لها من الأثر، وببركة صدق العبد، وإخلاصه ويقينه، وحُسن توكله على الله، وينتج عن تلك القراءة أو الكتابة فرج أو شفاء، أو حفظ لشيء، أو حل عسير ونحو ذلك.

وكل ذلك له أصل في الشرع من الكتاب والسنة، فقد دلت أكثر من آية على أن القرآن الكريم يُستشفى به، وتُدفع به الأمراض والآفات، ويُستعاذ به مما يخشى شره وضرره، قال الله تعالى: « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى» [فصلت: ٤٤].

وتدبر وصف الله القرآن الكريم بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء، ذاكم أن الشفاء هو ثمرة الدواء والهدف منه، أما الدواء فقد يفيد وقد يضرّ، فكان وصف القرآن الكريم بأنه شفاء تأكيد وأي تأكيد لثمرة التداوي به. [يُنظر: خصائص القرآن، لفهد الرومي ص١١١ بتصرف يسير].

والأدلة على ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» [يونس: ٥٧].فالقرآن هو الشفاء التام

من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، وضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه، قال الله تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » [العنكبوت: ٥١]. فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله». [زاد المعاد: ٣٥٢/٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» أي: فحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به، والمصدقين والموقنين بما فيه. [تفسير ابن كثير].

٢- قال تعالى: « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » [الإسراء: ٨٢]. قال ابن القيم: . والصحيح أن «مِنْ» هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ». أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق، وشرك وزيغ، وقيل: القرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بُعدًا وتكذيبًا وكفرًا، والآفة من الكافر لا من القرآن [تفسير ابن كثير: ٧٠/٩].

٣- قال تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » [فصلت: ٤٤].

قال الألوسي رحمه الله عند هذه الآية: «والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقى ما يشفى بخاصية روحانية، ومن ينكر هذا لا يعبأ به». [روح المعاني للألوسي].

قال السعدي رحمه الله عن هذه الآية: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ» [فصلت: ٤٤] أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، فتحصل به الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق، وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفي القلب». [تيسير الكريم الرحمن ص٣٧٢].

ثانيًا: من السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على الاستشفاء بالقرآن الكريم والتداوي به، بل وترغب في ذلك وتحث عليه، فيحصل بذلك من جلب النفع، ودفع الضر ما لا يعلمه إلا الله، وهذا بلا شك من أعظم خواص القرآن الكريم، فهو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية للمؤمنين الصادقين، ومن هذه الأحاديث:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رهطًا (الرهط ما دون العشرة من الرجال) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ (اللدغة: جامعة لكل هامة تلدغ لدغًا) سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لُدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لراقٍ ولكن والله لقد استضفناكم، فلم تضيفونا، فمَا أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً (الجُعل: ما جعلته للإنسان أجْرًا على عمله)، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: «الحمد لله رب العالمين» حتى لكأنما نُشط من عقال فانطلق يمشي ما به شيء.... قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسمُوا، قال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم» اقسموا واضربوا لي معكم بسهم. [رواه البخاري].

ويتضح في هذا الحديث خاصية سورة الفاتحة، وجواز العمل بها، من خلال إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لفعل الصحابي الذي عمل بها في قوله عليه الصلاة والسلام: «أصبتم»

بل وختم الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: «اقسموا واضربوا لي معكم بسهم». ويظهر الأثر المترتب على قراءة سورة الفاتحة من خلال الحديث المتقدم، وحصول المنفعة بها، ودفع المضرة أو رَفعها.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة»؟، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: « أما إنه قد كذبك، وسيعود» فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك»؟، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: « أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: « ما هي «، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة «، قال: لا، قال: «ذاك شيطان». [رواه البخاري].

٣- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». يعني السحرة. [رواه مسلم].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة». [رواه مسلم]، فهذه من خواص سورة البقرة، فأخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة (يعني السحرة).

٤- عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص: ١]، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ» [الفلق: ١]، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ» [الناس: ١]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات». [رواه البخاري].

وفي رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها. [رواه البخاري].

ويظهر في هاتين الروايتين العمل بخواص سور القرآن، فكان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه يقرأ بهذه السور الكريمة، بل إذا اشتكى - أيضًا - يقرأ بهن على نفسه وينفث، وفي هذا دليل على جواز العمل بذلك؛ لما يحصل به من النفع الكثير والخير العميم، فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن الكريم، والمعوذتين لم ير مثلهن، كما صح بذلك الخبر عن تلك السور، وهذا لا شك من الخواص القرآنية العظيمة في هذه السور وغيرها من سور القرآن الكريم.

فمن خلال ما تقدم تبين لنا أنه قد دلت أكثر من آية على أن القرآن الكريم يُستشفى به وتُدفع به الأمراض والآفات، ويُستعاذ به مما يُخشى شره وضرره، وقرر ذلك القرآن الكريم وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وفعله أصحابه رضوان الله عليهم من بعده والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

محبة النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثنا في اللقاء السابق عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله تعالى، وعن علامات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هذه العلامات كذلك:

اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر:

إن من تدبر القرآن الكريم يجد أن الله تعالى جعل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عنوان محبته جل وعلا، قال الله تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» [آل عمران: ٣١، ٣٢].

يقول الحافظ ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله. اهـ. فمن كان لنبيه متبعًا كان لله محبًا.

فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يجلب للمسلم محبة الله عز وجل، وعلامة حب الله للعبد: وضع القبول له في الأرض، ففي الحديث المتفق عليه: «إذا أحب الله عبدًا دعا جبريل فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحببه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض». فحب القرآن، وحب السنة، وحب أعمال البر وأهل الصلاح، وحب الآخرة، من علامات اتباع المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله عز وجل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم موجبًا للهداية، قال الله عز وجل: « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: « وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » [الأعراف: ١٥٨].

روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة النفس فما دونها:

قال الله تعالى: « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» [الأحزاب: ٦]، روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ».

وفي الحديث المتفق عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده».

وقد قرَّع الله من كان ماله وأهله وولده وتجارته أحب إليه من الله ورسوله، وتوعده، ثم حكم على من كان هذا حاله بالفسق، قال الله عز وجل: « قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » [التوبة: ٢٤].

روى البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيءٍ إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر».

ونقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي قوله: «حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جُبلت عليه»، وعلق ابن حجر على كلام الخطابي قائلاً: قلت: فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، لذلك حصل له الجواب بقوله: «الآن يا عمر» أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب، وأما تقرير بعض الشراح الآن صار إيمانك معتدًا به؛ إذ المرء لا يعتد بإيمانه حتى يقتضي عقله ترجيح جانب الرسول، ففيه سوء أدب في العبارة، وما أكثر ما يقع مثل هذا في كلام الكبار عند عدم التأمل والتحرز لاستغراق الفكر في المعنى الأصلي. [فتح الباري: ١١/٥٣٦- ط. الريان].

أمثلة رائعة لتقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة لأسمى مراتب تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على النفس، روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا، حتى إذا كان بين عُسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر، تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمرُ يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجأوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خُبيب وزيد ورجل، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا، حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة عنب، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليأتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء». [الفتح: ٧/٤٣٧، ٤٣٨، برقم: ٤٠٨٦].

وفي بعض الروايات: فاقترب منه أبو سفيان قائلا: أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟

فقال خبيب: لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم في مكانه الذي هو فيه تصيبهُ شوكةٌ تؤذيه.

فقال أبو سفيان: ما رأيتُ في الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا. [الفتح: ٤/٤٠٨٦].

وفي صلح الحديبية وموقف عروة بن مسعود الثقفي كما عند البخاري وفيه:

فقال عروة: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدَعُوك، فقال له أبو بكر الصديق: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها

لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء »، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. [فتح الباري: ٥/٣٨٩].

موقف المرأة الدينارية رضي الله عنها

في معركة أُحد استبسل المسلمون في مقاتلة المشركين، فكان شعارهم أمت، أمت، واستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صورًا رائعة في البطولة والشجاعة، وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة، ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها، تركوا مواقعهم ظنًا منهم أن المعركة انتهت، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتال من جديد، وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يتساقطون شهداء في الميدان، وفقدوا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وشاع أنه قُتل، واختلط الحابل بالنابل واشتدت حرارة القتال، وصار المشركون يقتلون كل من يلقونه من المسلمين، واستطاعوا الخلوص قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بحجر كسر أنفه الشريف ورباعيته، وشجه في وجهه الكريم، فأثقله وتفجر الدم منه صلى الله عليه وسلم. [السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٨١].

والصحابة يسقطون واحدًا تلو الآخر بين يديه، وقاتل أبو طلحة الأنصاري بين يديه صلى الله عليه وسلم، وكان من أمهر الرماة، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة». وقد كان متترسًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجحفة، فكان راميًا شديد النزع، ويقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت لا تشرف إلى القوم، ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، ووقفت نسيبة بنت كعب تذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وترمي بالقوس، وغيرهم كثير التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم يذودون عنه، وبعد انتهاء المعركة قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - صغيرة هينة - المصيبة إن أصبنا بك يا رسول الله.

هكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

وهذه المرأة بعدما تجمع عليها مصائب، فقد الأب، والزوج، والأخ، وتعلمت أن فقدهم هين في مقابل سلامة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك خرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحبًا بها». فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد اشتويتُ - صارت صغيرة خفيفة - المصيبة، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد أبشري وبشري أهليهم، أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعًا، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفعوا في أهليهم». قالت: رضينا يا رسول الله. ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خُلِّفوا. فقال: «اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خُلفوا».

وللحديث بقية إن شاء الله، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إن السعيد لمن جُنِّب الفتن

إعداد/ عبده الأقرع



الحمد لله، مَن تمسك بهديه قرَّبه وأدناه، ومن خالف أمره أبعده وأقصاه، أحمده سبحانه لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه، وأصلي وأسلم على من اجتباه ربُّه واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعدُ:

فعن المقداد بن الأسود قال: وأيم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن، ولمن ابتُلِيَ فصبر فواهًا». [رواه أبو داود: (٤٢٦٣)، وهو في صحيح الترغيب رقم (٢٧٤٣)]. ومعنى: «أيم الله» هذا من ألفاظ القسم، كقولك: لعمر الله، وعهد الله.

وكلمة «واهًا» يدل معناها على التلهف، وقد توضع للإعجاب بالشيء.

أحبتي في الله: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [سورة التوبة: ١٢٨].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه ما ترك خيرًا إلا وأرشد الأمة إليه، وما ترك شرًا إلا وحذر الأمة منه، وما من خير حصل في الدنيا إلا والجنة خيرٌ منه، وما من شر كان في الدنيا إلا والنار شر منه.

وتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ حيث أرشدنا صلى الله عليه وسلم حينما تكثر الفتن في الأمة، فنشهد الله الذي لا إله إلا هو على محبته صلى الله عليه وسلم محبة تفوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه.

معنى الفتنة:

قال الراغب: أصل الفتنة إدخال الذهب النار؛ لتظهر جودته من رداءته. وقال ابن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذٌ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار ليتميز الرَّديء من الجيد. فأرشدنا صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت الفتن في الأمة، فيلتبس الحقُّ بالباطل، ويختلط الهدى بالضلال، قال صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمانٌ لا يدري القائل

في أي شيءٍ قَتَل ولا يدري المقتول في أي شيء قُتل». [مسلم: ٢٩٠٨].

وبين صلى الله عليه وسلم خطر الفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا». [مسلم: ١١٨].

كيف نتجنب الفتن؟

إن السعيد السعيد لمن جُنِّب الفتن. فإن قال قائل: وكيف نجتنبها؟

قلتُ: أولاً: إنَّ أهم ما تُتقى به الفتن ويتجنب به شرها وضررها تقوى الله جل وعلا، وملازمةُ تقواه في السرِّ والعلن والغيب والشهادة، فإنَّ تقوى الله سبحانه تُنير طريق الهداية، وتُبدد نورها ظلمات الجهل والغواية، ومن رُزق التقوى وُفق للفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ» [الأنفال: ٢٩]، فمن وهبه الله التقوى، فقد وهبه نورًا يمشي به على درب النجاة في سلامة المؤثرات العقدية والمنهجية، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ» [الحديد: ٢٨]. وقال تعالى: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا» [الطلاق: ٢] أي: يجعل له مخرجًا من كل فتنة وبليَّة وشرٍّ في الدنيا والآخرة.

ولما وقعت الفتنة في زمن التابعين أتى بعض الناصحين إلى طلق بن حبيب – رحمه الله –. وقالوا: قد وقعت الفتنة فكيف نتقيها؟ فقال رحمه الله: اتَّقوها بالتقوى. قالوا: أَجْمِلْ لنا التقوى؟ قال: تقوى الله عمل بطاعة الله على نور من الله؛ رجاء رحمة الله، وترك معصية الله على نور من الله خيفة عقاب الله.

وبهذا يُعلم أنَّ تقوى الله ليست كلمةً يقولها المرء بلسانه أو دعوى يدَّعيها، وإنما تقوى الله عز وجل جدٌّ واجتهاد، ونصح للنفس بطاعة الله، والتقرُّب إليه بما يرضيه، ولا سيما فعل الفرائض والواجبات، والبُعد عن المعاصي والمنكرات، فمن كان هذا شأنه نال – بإذن الله – العاقبة الحميدة والنهاية الرشيدة، وأمن الفتن.

ألا ما أحوج الأمة اليوم إلى أن تُغْمَر قلوب أبنائها بتقوى الله جل وعلا ؛ حيث الفتن المُشتدة، والمحن المتلاحقة، والابتلاءاتُ المتداعيةُ، والراياتُ المتداخلة، والسُّبُلُ المتشابكة.

ثانيًا: ومن الضوابط المهمة لاجتناب الفتن لزومُ الكتاب والسنة والاعتصام بهما، فإنَّ الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل العز والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد قال الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». [رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وهو في صحيح سنن أبي داود (٣٨٥١)].

وقد قال الإمام مالك – رحمه الله – إمام دار الهجرة: «السنة سفينة نوح، فمن ركبها نجا، ومن تركها هلك وغرق». ومن أمَّر السنة على نفسه نَطَق بالحكمة وسلم من الفتنة، ونال خيري الدنيا والآخرة، فالنجاةُ عند الاختلاف والسلامة من الفتنة إنما تكون بالتمسك بسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والبعد عن الأهواء والبدع، وأن يحكِّم المرءُ السنة على نفسه فيما يأتي ويذر في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده وجميع شئونه، ومن كان هذا شأنه فإنَّه يُعصم ويُوقى – بإذن الله – من كل شرٍّ وبلاء وفتنة.

ثالثًا: ومن الضوابط العظيمة لاتقاء الفتن: الرفقُ والأناة وعدم العجلة، والتأمل في عواقب الأمور، فإن العجلة لا تأتي بخير، والأناةُ فيها الخير والبركة، ومن كان عجولاً في أموره مندفعًا في تصرُّفاته، فإنه لا يأمن على نفسه من الزلل والوقوع في الانحراف والخلط، وأما من كان رفيقًا متأنيًا بعيدًا عن العجلة والتهور والاندفاع، متأملاً وناظرًا في عواقب الأمور، فإنه – بإذن الله – يصل إلى العواقب الحميدة التي يسعد بها في الدنيا

والآخرة.

وقد جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعًا في الخير خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشر».

إن من يندفع في معالجة الأمور، ويبتعد عن سبيل الأناة والتؤدة يفتح على نفسه وعلى غيره من عباد الله بابًا من الشرِّ والبلاء، يتحمل وزره ويبوء بإثمه ويجني عاقبته الوخيمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرِّ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه». [صحيح سنن ابن ماجه: ١٩٤].

رابعًا: وإن من الضوابط المهمة: لزوم جماعة المسلمين، والبعد عن التفرُّق والاختلاف، فإنَّ الفرقة شرٌّ والجماعة رحمة، الجماعةُ يحصل بها قوة لُحمَة المسلمين وشدة ارتباطهم وقوة هيبتهم وتحقق وحدتهم، ويحصل بها التعاون بينهم على البر والتقوى، وعلى ما تكون به سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأما الخلاف فإنه يجرُّ عليهم شرورًا كثيرة، وأضرارًا عديدة وبلاءً لا يحمدون عاقبته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة، والفُرقة عذاب». [رواه أحمد: ٢٧٨/٤، وهو في صحيح الجامع: ٣١٠٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالجماعة وإياكم والفُرْقَة». [صحيح سنن الترمذي: ١٥٧٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». [رواه البخاري: ٢٤١٠].

وإنَّ الأمة اليوم بحاجة أكثر من أي زمان مضى إلى الاتحاد على منهج الكتاب والسنة، حتى تصب الجهود في محصلة واحدة نحو الهدف السامي الذي يسعى إليه كل مسلم، لقيادة سفينة الأمة إلى بر الأمان، وشاطئ الإيمان، وإن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام في خدمة دينه وعقيدته، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأرُوا الله - أيها المسلمون - من أنفسكم خيرًا.

خامسًا: ومن الضوابط العظيمة التي يلزم مراعاتها لاتقاء الفتن واجتناب شرِّها: الأخذ عن العلماء الراسخين والأئمة المحققين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البركة مع أكابركم». [الصحيحة: رقم: ٢٨٨٤]. فالبركة مع الأكابر الذين رسخت أقدامهم في العلم وطالت مدَّتهم في تحصيله، وأصبح لهم مكانة في الأمة بما آتاهم الله من العلم والحكمة والأناة والنظر في عواقب الأمور، فعن هؤلاء أمرنا أن نأخذ، قال الله تعالى: « وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا » [النساء: ٨٣]، فمن كان معوِّلاً على هؤلاء أمن الفتنة وحمد العاقبة، وإن من رحمة الله بعباده أن يُقيض في كل زمان ومكان - رجالاً أكفاء، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله». [البخاري: ٣٦٤١، ومسلم: ١٠٣٧].

سادسًا: ومن الضوابط المهمة لتجنب الفتن: حسن الصلة بالله ودعاؤه سبحانه، فإن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، ولا سيما سؤال الله تبارك وتعالى أن يجنِّب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، والتعوذ به سبحانه من مضلات الفتن، فإن من استعاذ بالله أعاذه، ومن سأل الله أعطاه، فإنَّه سبحانه لا يخيِّب عبدًا دعاه، ولا يردُّ عبدًا ناده.

وإنَّا لنسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنِّب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ على المسلمين أمنهم وإيمانهم، وأن يقيهم الشرور كلها، وأن يحمِّدهم العواقب، «اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم». [صحيح الجامع: ١٢٧٧].

والحمد لله رب العالمين.

الأمانة

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الأمانة فضيلة مباركة، من أجل ذلك أحببت أن أُذكرَ نفسي وإخواني الكرام بمنزلة الأمانة في الإسلام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:



تعريف الأمانة:

الأمانة: لفظٌ عام يشملُ كل ما افترضه الله تعالى على المسلم، وأمره بحفظه، فيدخل فيها حفظ قلبه وجوارحه عن كل ما يُغضب الله تعالى، وحفظ كل ما ائتمنه الناس عليه. (موسوعة فقه القلوب للتويجري . جـ٢صـ١٢٦٣).

١- القرآن يحثنا على الأمانة

قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا» (النساء:٥٨).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): (يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ، مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى عِبَادِهِ، مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَالْكَفَّارَاتِ وَالنُّذُورِ وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ مُؤْتَمَنٌ عَلَيْهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ، وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ اطِّلَاعِ بَيِّنَةٍ عَلَى ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَدَائِهَا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (تفسير ابن كثير جـ٤ ص١٢٤: ١٢٥).

٢- نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على حفظ الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٠١٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢١١٨).

٣- التكاليف الشرعية أمانة:

قال الله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب:٧٢) قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْأَمَانَةُ: الْفَرَائِضُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ. (تفسير الطبري جـ٢٢صـ٢٢٥)

إقامة الصلاة المفروضة أمانة، وأداء

الزكاة المفروضة أمانة، وصيام شهر رمضان أمانة.

٤- جوارح المسلم أمانة عظيمة:

العقل من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، فالعقل هو الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وهو أساس التكاليف الشرعية، والثواب والعقاب، وكذلك سائر الجوارح، التي تعتبر أمانة عند الإنسان، سوف يحاسبه الله تعالى عليها يوم القيامة. فيجب على المسلم أن يحافظ على هذه الأمانة ويستخدمها في طاعة الله ورسوله.

وليحذر المسلم أن يستخدم نعمة العقل والجوارح في معصية الله، أو فيما يضر المسلمين، ومن فعل ذلك فقد خان أمانة العقل، التي أمره الله بالمحافظة عليها.

٥- تولية مناصب الدولة أمانة:

ولاية مناصب الدولة أمانةٌ عظيمةٌ في أعناق ولاة أمور المسلمين، سوف يسألهم الله تعالى عنها يوم القيامة، فليجتهد ولاة الأمور في القيام بمهام هذه الأمانة العظيمة، التي جعلها المسلمون في أعناقهم، وليحذر المسئولون من استغلال مناصبهم في جلب منافع شخصية لهم، أو تعيين أشخاص من غير ذوي الكفاءات في المكان الذي يتولون قيادتها، أو في أي مكان آخر، فمن فعَل ذلك منهم فقد خان الله وتعالى ورسوله والمؤمنين.

(أ) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(مسلم حديث:١٨٢٥).

(ب) عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا (الإبرة)، فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا (سرقة) يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (مسلم حديث: ١٨٣٣).

(ج) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: من استعمل رجلاً لمودة، أو لقرابة، لا يستعمله إلا لذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. (مناقب عمر لابن الجوزي ص ٧٨).

٦- تولية القضاء أمانة:

تولي منصب القضاء للحكم بين الناس أمانةٌ عظيمةٌ في أعناق القضاة، وليعلموا أنهم مسئولون عن ذلك أمام الله يوم القيامة، فليجتهد القاضي في الحكم بين الناس، على ضوء كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم. وليحذر من تولية القضاء لمن لا قُدرة له؛ لأنه يُعَرِّض نفسه لغضب الله في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ» (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٠٤٩).

وعَنِ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ». (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٠٥١).

٧- العلم النافع أمانة:

العلمُ أمانةٌ في عُنق العالم يسأله الله عنه يوم القيامة، فيجب عليه أن يؤدي هذه الأمانة إلى الناس، وليتذكر العالِم عظيم ثواب الله يوم القيامة.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ لعلي بن أبي طالب: «وَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (وهي الإبل الحمراء وكانت أنفس الأموال عند العرب). (البخاري حديث: ٢٩٤٢، ومسلم حديث:٢٤٠٦).

وليحذر العالم أن يخالف فعلُه قولَه، فيكون بذلك قد خان أمانة العلم. قال سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ » (الصف:٢:٣)

وليحذر العالم أيضاً من التهاون أو التقصير في نشر العلم بين الناس، فيكون خائناً للأمانة التي وضعها الله تعالى في عنقه. والمقصود بالعلم هو كل علمٍ ينفعُ المسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح أبي داود للألباني حديث٣١٠٦).

٨- إتقان العمل أمانة:

إتقان العمل أمرٌ واجبٌ على المسلم، وهو أمانة عظيمة في عنقه، وهو سبيل تقدم الأمة الإسلامية. وليعلم المسلم أن الله تعالى مطلعٌ عليه، وسوف يحاسبه يوم القيامة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ». (السلسلة الصحيحة للألباني حديث:١١١٣).

وليحذر المسلم خيانة أمانة العمل وذلك من بالتقصير في عمله أو غش المسلمين من أجل الحصول على الربح الكثير، فإن هذا المال حرام ولا بركة فيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ (الكومة من الطعام) فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (مسلمَ حديث: ١٠٢).

٩- المال أمانة:

يجب على المسلم أن ينفق المال الذي رزقه الله فيما يُرضي الله، وليعلم أنه مسئول عن ذلك المال يوم القيامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ». (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٧٠).

ليحذر المسلم أن ينفق ماله في معصية الله تعالى، فيكون وبالاً عليه يوم القيامة.

١٠- الوقت أمانة:

رأس مال العبد المسلم في هذه الدنيا وقتٌ قصيرٌ وأنفاسٌ محدودةٌ وأيامٌ معدودةٌ، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في أعمال الخير فطوبى له، ومن أضاعها وفرَّط فيها فقد خسر خسراناً مبيناً، وليعلم المسلم أنه مسئول عن الوقت يوم القيامة.

عَنْ عَبد الله بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ. (صحيح الجامع للألباني حديث ١٠٦٣).

فيجب على كل مسلم أن يحافظ على أمانة الوقت، ويستغل هذا الوقت في طاعة الله تعالى وفي خدمة نفسه وإخوانه المسلمين، فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وليحذر من قضاء الوقت في اللهو ومعصية الله، فيندم حين لا ينفع الندم، ويبكي حين لا ينفع البكاء.

واحذر، أخي المسلم، أن تضيع أمانة الوقت مع أصدقاء السُّوء، فتخسر الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى: « وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا» (الفرقان: ٢٧:٢٩).

١١- الأسرار أمانة:

حفظ الأسرار ينشر السلام والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وإفشاء الأسرار ينشر الحقد والكراهية بين الناس.

يجب على الرجل أن يحافظ على أسرار زوجته وبيته، والمرأة تحافظ على أسرار زوجها وبيتها، والصديق يحافظ على أسرار صديقه، والعامل يحافظ على أسرار العمل في المكان الذي يعمل فيه، فمن أفشى الأسرار، فقد خان الأمانة التي جعلها الناس في عنقه.

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ. (مسلم حديث ٢٤٨٢).

١٢- نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في الأمانة:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (وهي تتحدث عن هِجْرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم): أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، عَلِيًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ. (السنن الكبرى للبيهقيِّ جـ٦صـ٤٧٢).

١٣- الله تعالى في عون المسلم الأمين:

إذا اقترض المسلم مالاً وكان في نيته سداده، أعانه الله تعالى. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ.»

(البخاري حديث: ٢٣٨٧)

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ مَيْمُونَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اسْتَدَانَتْ فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، تَسْتَدِينِينَ وَلَيْسَ عِنْدَكِ وَفَاءٌ، قَالَتْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ دَيْنًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.» (صحيح النسائي للألباني جـ٣ صـ٢٦٠).

١٤- التحذير من خيانة الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ. (البخاري حديث: ٣٣، ومسلم حديث:٥٩).

١٥- ضياع الأمانة من علامات الساعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لمن سأله عَن السَّاعَة: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ(أسند) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (البخاري حديث:٥٩)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عزاء وجب

فقدنا في الأيام الماضية الأخ الحبيب المهندس/ خالد محمد حسين، رئيس مجلس إدارة المركز العام بالزيتون «العزيز بالله»، الذي فاضت روحه إلى خالقها يوم الاثنين ٢٠١٢/٥/٢٩م عن عمر يناهز ٥٣ سنة.

وقد تولى - رحمه الله - إدارة المركز الإسلامي سنة ١٩٩٥م وكان محبًا للخير داعيًا له متمسكًا بالسنة باذلاً لوقته وماله في سبيل دعوة رب العالمين، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، آمين.